الحب المقدس
الحب الأخوي

الحب والعطاء

لوزي



القمص تادرس يعقوب ملطي

M

الحب الأخوي
[٥]

الحبُّ والعطاء

لوزي

القمص تادرس يعقوب ملطي

إسم الكتاب : الحب والعطاء
إسم المؤلف : القمص تادرس يعقوب ملطى
الناشر : كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس باسبورتنج
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) بالعباسية مصر .
الجمع : مركز الدلتا للجمع التصويرى باسبورتنج اسكندرية .
رقم الايداع ٤٦٠٥ لسنة ١٩٧٠ م



صاحب القداسة والغبطة البابا شنودة الثالث
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية



يلذ لنا أن نذكر دوماً أن الإنسان مخلوق على صورة الإله « المحبة » ، يود أن يحب ويُحب .... ولايقدر أن يشبع إلا بالحب الحق العميق !

والمسيحية فى جوهرها لاعمل لها أكثر من أن تقدم للمرء ينبوع حب فياض ، خلالها يتلمس محبة الإله « محب البشر » ، ويتقبل إمكانية الحب ليرد الحب بالحب .

بهذا المفهوم نتحقق ما فى المسيحية من طقوس وعبادات وعقائد وقراءات وأسهار وأتعاب أنه ليس إلا بخور حب متقد يرفعه الإنسان للإله الذى سبق فأعلن له محبته حتى الموت موت الصليب .

وللصدقة شأن خاص وفهم روحى فريد ، سره أن المرء إنشغل قلبه بالعالم وتفاعل معه ، فأحب العالم داخل المال بديلا عن الإله ، إذ صار موضوع إنشغاله وهمه وحبه .... لذلك أعطى رب المجد للصدقة اهتماما خاصاً حتى قدمها عن الصوم والصلاة (مت ٦ ، ٥)

ليس لاحتياج الرب أو الكنيسة أو الرعاة ، إنما تحمل فى طياتها عودة بالقلب عن الارتباط بالعالم والمادة لكى يتحرر منطلقاً تجاه الله والحياة الأبدية .

بمعنى آخر ، الصدقة تحمل فى مظهرها التخلى عن الماديات وتقديمها للرب يسوع فى شخص إخوته المحتاجين وفى جوهرها تحمل تفريغاً للقلب الداخلى عن محبة العالم وامتلائه بمحبة ربنا يسوع الساكن فيه .

هذا هو المفهوم الأساسى للصدقة ، وإن كانت تحمل من خلال هذا المفهوم مفاهيم أخرى منبعثة منه نذكر منها :

١ – أنها بخور حب متقد يقدم للإله .
٢ – أنها تحرر من عبودية العالم .
٣ – هى مشاركة لأعضاء جسد الرب المتألمة .
٤ – الصدقة وزنة يلزم إضرامها بأمانة .
٥ – الصدقة علامة صادقة عن التوبة .

+ + +

١ – الصدقة بخور متقد يقدم لله

أرسل الرب تلميذيه ليحضرا الآتان والجحش ابن آتان ، قائلًا لهما إن سألهما صاحبهما يقولان له أن « **الرب محتاج اليهما** » . وفى حديثه مع السامرية أظهر الرب نفسه محتاجا قائلا « اعطينى لأشرب » . وعند صندوق النذور وقف الرب منتظراً فلسى الأرملة ....

فى هذا كله كان الرب محتاجاً ، لا إلى العطية بل لقلب الإنسان العاطى ، إذ يشتم فيه حباً طيباً وبخوراً ذكياً ....

على هذا تقاس الصدقة فى عينى الرب حسب الحب الدافع لها . فقد يهب المرء كل أمواله للمساكين ويحتجز قلبه عن الرب ، فتكون صدقته كصدقة الفريسى الذى ظن فيها أنها قادرة أن تبرره ، وصدقة حنانيا وسفيرة اللذين أعطيا نصيبا من ثمن الحقل للرسل لكنهما أحتجزا قلبيهما مشغولا بالجزء الباقى مع الكرامة أمام الناس .

أما من يقدم قلبه أولا فسيطوّبه الرب كتطويب الأرملة التى أعطيت الفلسين ، مقدمة قلبها كله له ، والمرأة التى قدمت قارورة طيب غالية الثمن بالرغم من نجاساتها الماضية .

لهذا لم يطلب ربنا من زكا صدقة ، إنما ملأ قلبه حباً ، فصرخ للحال قائلا « ها أنا يارب أعطى نصف أموالى للمساكين ، وإن قد وشيت بأحد أرد له أربعة أضعافه » لو ١٩ : ٨ .

ولنفس السبب لما طلب بولس الرسول أهل فليبى بالصدقة ، قال : « **ليس انى أطلب العطية بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم .... قد أمتلأت اذ قبلت من ابفرودتس الأشياء التى من عندكم نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية من عند الله** » فى ٤ : ١٧ ، ١٨ .

هكذا أيضا تطلع الآباء الأولون إلى الصدقة فقالوا : « عن فلسى الأرملة » :

+ حبها كان أعظم من قربانها ، **لأن الحب يحسن أكثر من الذبائح الكاملة** .... من أجل هذا غلبت بقربانها الأغنياء .

كهنة الشعب يقبلون النذور من الذين يتقدمون بكثرة ، ورب الكهنة جلس كساذج لم يشعر به . الأحبار الشرهون يهتمون بالذبائح ، **وربنا يطلب الحب داخل النفس .... إبن الاله يفرح بالذى فيه الحب** .

+ إستطاعت الأرملة أن تعرف أن العلى غير محتاج إلى قربان ، بل يطلب سبباً ليغنيهم .

تفكرت أنه لو أراد لجعل التراب ذهبا ، ومياه البحر مرجاناً ، وقالت فى نفسها أنه لايطلب الذهب لاحتياجه ، بل ليشاركه الناس بقرابينهم . لأن الذهب والفضة له ، فكما هو مكتوب إن كانت الذبيحة عظيمة وحب مقربها قليل يرذلها .

+ هذه وحدها عرفت أن تفرز وتقرّب بقلبٍ طاهر نذراً كاملا بافراز (تمييز) .... بحب نقى عرفت كيف تقرّب !

هذه قربت نذرها الكامل أفضل من يعقوب . لأنها لم تفرز العشر من مقتنايتها بل أحب هذه الطوباوية الرب أكثر من نفسها !

القديس مار يعقوب السروجي

وعندما حثنا **القديس ذهبى الفم** على الصدقة ركز أنظارنا تجاه محبة الإله قائلا :

+ كثيراً مانعانى شدائد عسيرة بسبب محبتنا لأصدقائنا وأقربائنا ، محتملين خسائراً جسيمة ... وأما **لأجل محبة الله** فلا نسمح بأقل كمية من الفضة ! ! افلا نقبل أن نرفض الأمور الزائلة لأجل محبة يسوع الذى قدم نفسه للموت عنا ، وسفك دمه الكريم بسببنا نحن عديمى الشكر !

لقد وضع المسيح ذاته للموت عنا ، والفقير يموت جوعاً ونحن نرى ذلك لكننا نحّول وجهنا عنه ونهرب منه. وكان الأولى بنا ألا نقدم فضة ومقتنيات لأجل الإله، بل لو كان لدينا ربوات الأنفس لقدمناها له !

القديس يوحنا ذهبى الفم

+ سيدك أهّل الكل لهذه المائدة ، مع أنها مهوبة وتفوق كل الموائد وتسمو عليها ، وأنت أفتظن أن الفقراء غير مستحقين مائدتك الصغيرة الحقيرة ؟ ! ...

سيدك أسلم ذاته من أجلك ، وأنت أما تعطى الفقير طعاماً لأجل ذاتك ؟ ! ....

المسيح أعطى الكل على السواء قائلًا : « خذوا كلوا » . ذاك أعطى جسده للجميع على السواء ، وأنت أما تعطى الكل على السواء ولا حتى الخبز العادى ؟ !

القديس يوحنا ذهبى الفم

بهذا الفهم للصدقة يفرح المسيحى بالأكثر عندما يعطى لمن هم أكثر أحتياجاً ، المدعوين بالأكثر « أصاغر » ، مقدما عطيته لربنا نفسه أخيهم البكر ، وكما يقول ذهبى الفم :

+ بقدر مايكون الإنسان من « الأصاغر » هكذا بالأكثر يأتيك المسيح خلاله ، لأن من يعطى إنساناً عظيماً يفعل هذا بزهو أما من يقدم للفقراء فبنقاوة يفعل هذا من أجل المسيح .

القديس يوحنا ذهبى الفم[١]

٢ - الصدقة تحرر من عبودية المال

الصدقة هى حب لربنا يسوع ، لأن الحب يلزمه بذل . فالرب يسوع أحبنا حتى بذل حسده عنا على الصليب . ونحن إذ نحبه نشتاق بذل أجسادنا وكل ماوهُبنا من أجل محبوبنا . نتوق أن نتقدم على مثاله للذبح فى كل يوم . نبذل كل مافى أستطاعتنا من صدقة وصوم وأسهار ومثابرة مع نية تقديم وبذل الجسد كله من أجله .

بهذا المفهوم نقول أنه إن كانت الصدقة من الناحية الإيجابية هى إنشغال القلب بكامله بتشخص السيد ، فمن الناحية السلبية الملازمة للايجابية هى تحرر له من

سلطان المادة وعبوديتها ، هى اعلان عن ملء بمن أحبه وتفريغ مما يستنفه. الصدقة فى حقيقتها رفع للقلب عن الأرضيات نحو السمائيات . وكما يقول الآباء :

+ إن دفن الإنسان كنزه فى الأرض ، يطلب قلبه الأرض السفلى ، أما إذا حفظ كنزه فى السماء فسيكون قلبه مرتفعاً .

لذلك إن أراد المسيحيون أن « يرفعوا قلوبهم » إلى فوق يلزمهم أن يدخروا مايحبونه هناك .

فالرغم من وجودهم بالجسد على الأرض ، إلا أنهم يقطنون مع المسيح بالقلب .

وإذ صعد رأس الكنيسة أمامها ، هكذا يليق بالمسيحى أن يصعد قلبه قدامه . وإذ تذهب الأعضاء إلى حيث ذهب المسيح قدامها ، هكذا يذهب كل إنسان فى القيامة إلى حيث تقدّمه قلبه .

لنذهب إلى السماء بذلك الجزء (القلب) الذى يستطيع الذهاب الآن ، وعندئذ سيتبعه إنسانا الكامل .

ينبغى أن يهزم مسكننا الأرضى ، فإن مسكننا السماوى أبدى لنرسل أمتعتنا مقدماً إلى حيثما نستعد للرحيل .

القديس أغسطينوس(٢)

٣ - الصدقة مشاركة لأعضاء الجسد المتألمة

إذ نحمل فى أعماقنا ربنا يسوع ، بل صرنا جسده السّرى ، لذا صار يليق بنا أن نحس بأحساساته فنشاركه آلام أعضائه كما لو كانت آلامنا ، نتوق أن نحملها عنهم .

وهكذا نمتثل بربنا يسوع المسيح الذى حمل تعييرات المعيرين وأثقال المحتقرين والمرذولين ، فبكى مع الباكين وشعر بضعفات الساقطين ، وشارك الفرحين ....

هذه هى مشاعر ربنا يسوع فيك فإن تركته يعمل فيك فالعطاء ، الذى هو حب حّى للمحتاجين وعطف داخلى عميق ، يكشف لك عن عمل الرب فيك تتذوقه وتختبره .

بهذا ترتفع الصدقة عن كونها عطاء مادى صرف إلى سّر حبّى عميق يربط أعضاء المسيح بعضها البعض .

+ « إن تألم عضو واحد فجميع الأعضاء تتألم معه ، وإن كرم عضو واحد فجميع الأعضاء تفرح معه » ١ كو ١٢ : ٢٦ .

فحينما تدخل الشوكة ما ، تهتم العين فى طلبها ، والجسد كله ينحنى ليجدها ، واللسان يتساءل : إين هى ؟ واليد تبادر إلى إقتلاعها .... والسبب فى هذا كله أن الأعضاء تهتم ببعضها البعض ، وإذا تألم عضو واحد تألمت معه بقية الأعضاء .

فعلى هذا المنوال إذا ينبغى أن نتصرف مع إخوتنا ، أى نهتم بهم كفرحنا بخيرنا ونتألم لمصابهم كما لو كان مصابنا .

+ يقال عن الغزلان أنها عندما تتجول فى المراعى أو عندما تقوم لتصل إلى مكان آخر من الأرض ، فأنها تسند ثقل رؤوسها على بعضها البعض ، بحيث أن الغزالة الأولى تتقدم الباقيين ، والكل يتبعها ، وكل واحدة رأسها على التى أمامها ، والتالية تسند رأسها على سابقتها ، وهكذا إلى نهاية القطيع على أن المتقدمة التى تحمل ثقل رؤوس الكل متى تعبت فإنها ترجع إلى المؤخرة وتستريح من التعب بأن تسند رأسها على التى أمامها كما يفعل الباقون وهكذا .... كل بدورها .

أليس هذا نوعاً من الإبل الذى يخاطبهم الرسول قائلًا : « احملوا بعضكم أثقال بعض ، وهكذا تمموا ناموس المسيح » غلا ٦ : ٢ ؟ !

القديس اغسطينوس

+ إن كان عضو يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه ، وإن كان عضو يكُرم فجميع الأعضاء تفرح معه » ١ كو ١٢ : ٢٦ ....

لقد طالبنا الرسول بثلاثة أمور هى :
الأتحاد العام – عدم الإنقسام – الأهتمام بالآخرين ، أى أن نضع فى أعتبارنا أن ما يحدث للعضو إنما يحدث للمجموع .

سبق أن قال « لكن الله مزج الجسد معطياً الناقص كرامة أفضل » ١ كو ١٢ : ٢٤ ، لأنه محتاج إلى هذه الكرامة ، موضحا أن الأقل يحتاج إلى كرامة أعظم، وبذلك تتساوى جميع الأعضاء فى الإهتمام الطبيعى بعضها ببعض .

وليس فقط من هذه الناحية ، بل وكل ما يحدث لها سواء كان حلواً أو مراً ، إنما يرتبط به الجميع . فإذا مادخلت شوكة فى عقب القدم يشعر بها الجسد كله ويهتم بها . فالظهر ينحنى ، والبطن والفخذان يلتصقان ، وتخرج اليد كما لو كانت حارساً وخادما لتنزع ما بداخل القدم ، والرأس تهتم بالأمر ، والعينان تنظران إليهما بكل أهتمام . فمع أن القدم له مركز أقل مما للرأس لعدم قدرته على الإرتفاع كالرأس ، ولكن بانحناء الرأس له لإخراج الشوكة صار مساوياً للرأس ، ونال نفس كرامتها ، **خاصة ان انحناء الرأس بسبب القدم ليس عن فضل منها بل إضطراراً .**

القديس يوحنا ذهبى الفم[٣]

+ لاتقل أننى أنفق من أموالى ، ومن أموالى أعول الآخرين ، فإنها ليست أموالك بل هى أموال غيرك ....

فكل فعل أو نفع يعود على الجسد كله ، ويخدم كافة الأعضاء ، فإن عاد النفع على عضو واحد فقط كان هذا العضو غريباً عن الجسد ، هكذا بالنسبة للأموال .

فالقوت الخاص بالجسد الذى ينتفع منه الأعضاء عامة ، لو أُعطى لعضو واحد فقط لصار العضو زائداً ، **لأنه إن لم يستطع أن يرسله إلى بقية الأعضاء يكون أجنبيا** . وأما إذا صار مشاعاً فينتفع هو وكل الأعضاء .

القديس يوحنا ذهبى الفم

٤ .- الصدقة وزنة يلزم اضرامها بأمانة

« لم ندخل العالم بشيء ، وواضح أننا لانقدر أن نخرج منه بشيء » ١ تى ٦ : ٧ ....

يشهد الرسول بولس ، بل والحياة ذاتها ، أننا لانستطيع أن نمتلك شيئاً ، فنحن لسنا إلا وكلاء على وزنات سلمها الإله لنا .

والصدقة تعلن عن أمانتنا فيما وُكلنا عليه ، وتشهد عدم أغتصابنا لما هو للموكل .
وبذلك يحق لنا سماع صوته الإلهى : « كنت أمينا على القليل فأقيمك على الكثير » ..

لقد سلمك الرب بركات كثيرة ، أنت ملتزم باستخدامها وإضرامها ، سواء كانت البركة هى أموال أو حكمة أو ذكاء أو قدرة على التعليم ... فإن الصدقة هى إضرام كل ما وهبك الرب متذكراً قوله : « مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » ، قائلا : « منك الجميع ومن يدك أعطيناك » ١ أى ٢٩ : ١٤ .
وكما يقول آباؤنا :

+ إن كان (الذى جاءك) مسكينا فلا تصرفه من عندك فارغاً ، بل أعطه من البركة التى أعطاك الله إياها . واعلم أن كل شيء لك ليس ملكك فإعطه من أجل الرب .

الأنبا أشعياء

(عن بستان الرهبان)

+ الأشياء كلها لله ، فعندما يوصينا أن نأخذ منا ، لانهرب من وصيته كالعبيد الخائنين فنسرق مالسيدنا .
إن كانت نفسك ليست ملكا لك ، فكيف تكون الأموال ملكك ؟ !

كيف تنفق ماهو ليس ملكك فيما لايجوز الانفاق فيه ؟ !

أما تعلم أننا عتيدون أن نحاسب على أستخدامها الردىء ؟ !
لذلك يجب علينا أن ننفقها على شركائنا فى العبودية ، لإنها ملك سيدنا وليست ملكنا .

القديس يوحنا ذهبى الفم

٥ - الصدقة علامة صادقة عن التوبة

+ حقا أن التوبة عن الخطايا تصلح البشر ، **لكنها ان كانت عقيمة عن أعمال الرحمة لايكون فيها نفع .**

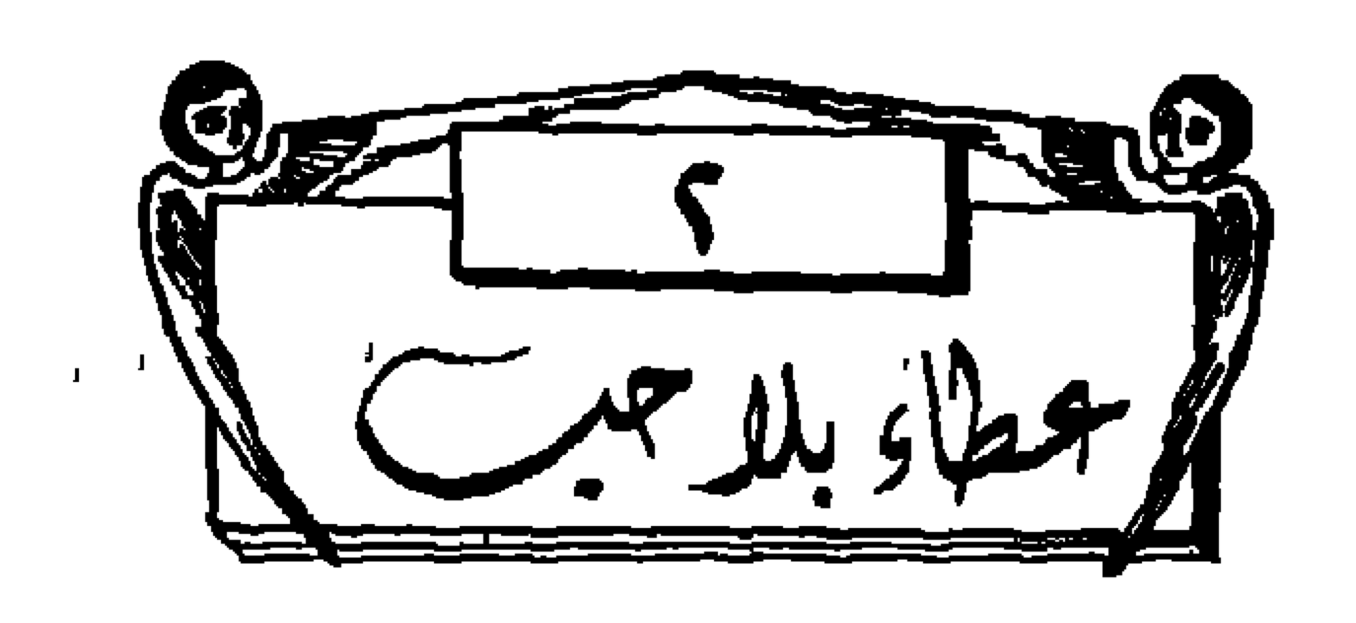
هذا مايشهد به الحق على لسان يوحنا الذى قال للآتين إليه : « ياأولاد الأفاعى ، من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ، فاصنعوا ثمار تليق بالتوبة ، ولاتبتدأوا تقولون فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا ، لأنى أقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لابراهيم ، والآن قد وضُعت الفأس على أصل الشجرة ، فكل شجرة لاتصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار » لو ٣ : ٩٧ . فمن لايصنع هذه الثمار التى تليق بالتوبة ليس له أن يفكر أنه سينال غفراناً بتوبة عميقة . وقد أعلن يوحنا بنفسه ماهى هذه الثمار . لأنه بعد نطقه بما سبق سأله الجموع « وماذا نفعل » . أجابهم « من له ثوبان فليعط من ليس له . ومن له طعام فليفعل هكذا » .

القديس أغسطينوس

+ باختصار دعا الرب أولئك الذين يراهم يساعدون الفقراء ويعولونهم أنهم أولاد ابراهيم ، لأنه عندما قال زكا « ها أنا يارب أعطى نصف أموالى للمساكين .... » أجابه يسوع قائلا : « اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضا إبن ابراهيم » لو ٩ : ١٩ . فإن كان ابراهيم آمن بالله فحُسب به براً ، فمن يعطى الصداقات حسب وصية الله يؤمن بالله ....

الشهيد كبريانوس

+ + +



« لو أطعمت كل أموالى .. ولكن ليست لى محبة فلا أنتفع شيئا » ١ كو١٣ : ٣ .
أن فقد العطاء عنصر « المحبة » فقد كيانه ووجوده ، وتحول إلى عمل بشرى ذاتى يعطل حياة الانسان ونموه .

لقد حزرتنا الكنيسة من مثل هذا العطاء فحذرتنا من :

١ - الصدقة من أجل الناس لاعن حب

+ تأمل كيف إبتدأ الرب يخاطب سامعيه محذرا إياهم من أصعب الوحوش نكاية ... إذ قال : » احترزوا أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم » مت ٦ : ١ .

قد يوجد من يقدم صدقته قدام الناس لكي يتحاشى التظاهر بها ، ويوجد أيضا من لايقدمها قدام الناس لكنه يتباهى بها سراً .

فالله لايجازى عن الصدقة بحسب صنعها أن كانت قدام الناس أو لا ، بل بحسب نية فاعلها .

+ إن كنت تشتهى أن يكون لك أناسا ينظرون صدقتك ، فإنه لن يعدمك هذه الشهوة فى الوقت المناسب ، بل يشبع لك هذه الشهوة بزيادة كثيرة .... **فإن الله يشيد به ويذكرك فى حضرة أهل المسكونة كلها ....**

+ إن أردت أن تظهر أعمالك فاظهرها لأبيك قبل كل الناس ، ولاسيما إن كان أبوك رباً .

+ إذا اتفق أن تصدقنا على فقير بشىء زهيد ، نطبل له ونزمر .... **مع أن أكثر الوسائل أماناً لحفظ كنز الأعمال الحسنة هو نسيانها .**

فكما أننا إذا بسطنا ثيابنا الفاخرة فى السوق العام نعرضها للمآكيد والأخطار ، بينما لو أخفيناها نحفظها فى مأمن من اللصوص ، كذلك أعمالنا الصالحة ، فإننا إن لم نكف عن ترديدها فى خاطرنا نثير غضب السيد ، ونسلح عدونا ضدنا ، ونستدعى السارق .

+ إذا ما رأيت الصدقة قد فسدت تألمت جدا لأننى أرى السبح الباطل يغتالها كما تغتال المربية إحدى بنات الملوك وتفسد اخلاقها ، فتجعلها تتجاسر بالثورة ضد أبيها وتحسن لها التهاون به ، والتزين لأجل أرضاء رجال ربما كانوا أشراراً يستحقون البصق على وجوههم ، فتلبسها الثياب السمجة التى يستحسنها الغريب ويستقبحها والدها .

والصدقة فى هذا المثال هى أبنة الملك ، والملك هو الإله ، وحب الظهور والرياء هما المربية الشريرة، والأجانب التى تتزين لهم حسب رغبتهم لا كما يريد الملك، هم الذين تتصدق أمامهم لأجل تمجيدك .

فالملك يأمر بعدم ظهورها حتى للأقرباء الذين بمثابة اليد الشمال ، والمربية هى الكبرياء التى تطالبنا باظهارها أمام العبيد والغرباء ....

القديس يوحنا ذهبى الفم

٢ - صدقة المتكبرين

الإنسان الطبيعى لايقدر أن يتصدق لأنه لايقدر أن يحب . بالجهد أن يعطى مالًا أو عقاراً ، لكن يستحيل عليه أن يعطى قلبه . والإنسان الطبيعى إذ يحب العالم ويتفاعل معه ، لذلك إن أعطى يظن أنه يمّن بذلك على الله والناس . وأما المؤمن إذ يعطى يشعر أن الحب الذى فيه ليس منه بل بالرب يسوع ، وأن مايعطيه ليس ملكه لأنها وزنات ربنا يسوع ، معطياً للرب لا لإنسان ... وبهذا فإن قدم كل ماوهبه الله لايسقط فى الكبرياء ، بل يحس فى أعماق قلبه بعدم إستحقاقه للعطاء الذى يقدمه مما لله .....

أما من يقدم الصدقة ويظن أنها من عندياته يمّن بها على الله فهذا يشبهه مار يعقوب الرهاوى بالشجرة المورقة التى بلا ثمر .

٣ – صدقة غير المؤمن

الصدقة ، إذ هى تقديم للقلب ذاته ، لذلك يرفض الله تقدمات الأشرار المصرين على شرهم ، ليس رفضاً لهم ، لكن لئلا يقفوا عند تقديم الصدقة دون القلب . لذلك أمرت الدسقولية(٤) ألا تستخدم تقدمات غير المؤمنين والاشرار إلا فى شراء الخشب والحطب وقوداً للنار ولاتُدفع للأرامل ولايبنى بها كنائس ولاتنفق فى الخدمة .... الخ .

+ يجب أن يكون الأسقف عارفا من يجب أن تقُبل غلته منه ومن لايجب ، وخير له أن **يتحفظ من أصحاب الحانات** الذين هم تجار ، ولايقبل منهم شيئا لأنهم يتبررون من الإثم ....

وليهرب أيضا من الزناة ، فقد قال : « لا تأت للرب إلهك بأجرة زانية » تث ٢٣ : ٨ ، وليتحفظ أيضا من الغاصبين والمحبين للأرباح والفسقة ، لأن قرابين هؤلاء نجسة أمام الله .

إبعد أيضا عن القرابين التى يؤتى بها إلى هيكل الله بسريره سوء ، فقد قال : إبعد عن الظلم وعندئذ لاتخف ولا ترتعد أن تقرب (قرابينك) .

إذا قلتم إن هؤلاء الذين يدفعون الرحمة اذاً لم نأخذ منهم فمن إين نعول الأرامل ونربى الايتام والمحتاجين الذين فى الشعب ؟ ! ....

إذ كنتم فى الكنائس تصنعون هكذا ، الأصلح أن يموت واحد ويهلك من القحط أكثر من أن يأخذ من أعداء الله ، لأنه يصير عاراً وهزءاً بين أصحابه . فلأجل هذا قال النبى : « زيت الخطاة لايدهن رأسى » فى ٦ : ٦ ، ٧ ، عا ٥ : ٢١ ، ٢٢ .
الدسقولية(٥)

٤ – صدق الظالمين

من يتصدق بأموال ظلم بها اخوته ، لايحمل فى صدقته حباً روحيا ولاحتى بشرياً إذ يعطى إنسانا ويظلم آخر .

+ إذا قدمت للاله جزءا مما اقتنيته ظلماً واغتصابا فلن يقبل الاله عطيتك .....

فلترحم من ظلمته صانعا معه رحمة ومحبة ، عاملاً بالصلاح ، وبذلك تقدم رحمة وحقا . **فالله لايشاركنا جشعنا ولايشاطر اللصوص والسالبين** ، ففى استطاعته أن يطعم الفقراء الذين عهد لنا بهم ، لكنه يطلب ثمار البر ومحبة الناس .

الباب اثناسيوس الرسولى

+ إن كان قايين الذى قدم أفضل ماالديه لم يقبله الله مع أنه كان من تعبه ..... فكيف لايصيبنا شر أعظم مما أصاب قايين إن قدمنا له قداسات وقرابين من مال نلناه ظلما من الآخرين ؟ !

لماذا تسب الرب بتقديمك له قرابين وهدايا نجسة ؟ ! .....

أولى بك ألا تعرى أناسا لتكسى آخرين ، أفلست تظلم من تعريهم ؟ ! فانك إن ظلمتهم ، ولو أعطيت ما أخذته منهم للغير فليس هذا رحمة .

+ إذا اختطفت أموالا واعطيتها للغير ..... فما هو عذرك ؟
أتريد أن تعلم مقدار ماتصنعه من الشر ؟ إسمع ما يقوله سليمان أن الذى يقرب ذبيحة من أموال الفقراء كمن يقتل أمام الأب إبنه !

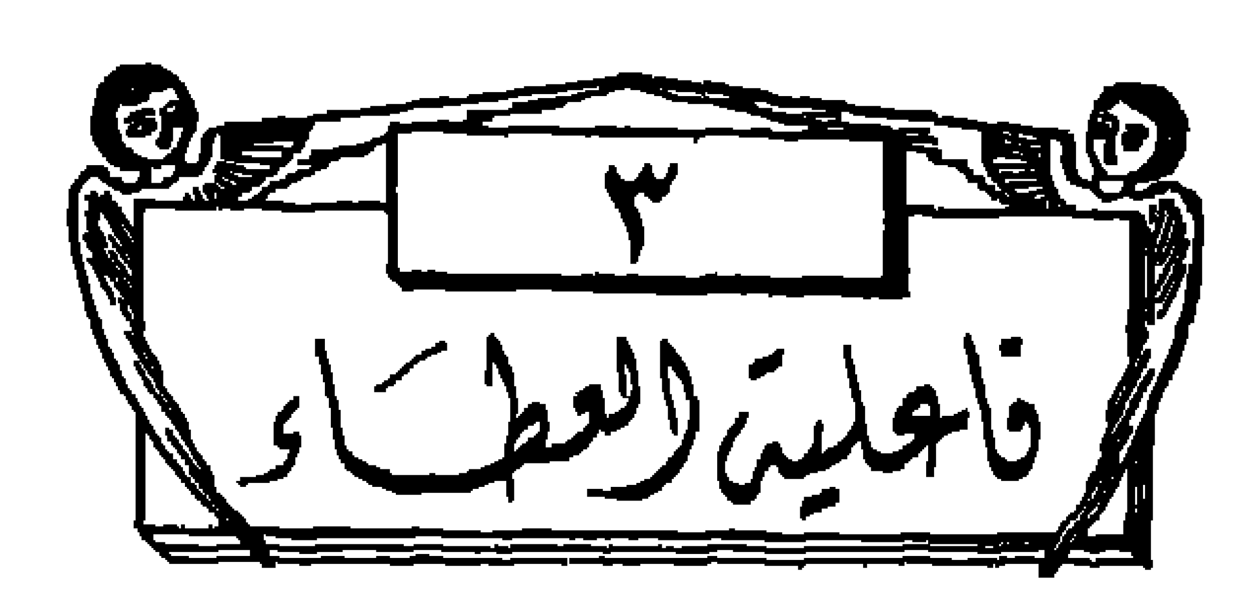
القديس يوحنا ذهبى الفم

اعطوا مما تملكونه بالبر ، لأنكم لاتقدرون أن تقدموا رشوة للمسيح قاضيكم .

القديس أغسطينوس

+ إهرب أيضا ياأسقف ممن يضيق على الأرملة ، وممن يتقوى على اليتيم ، ومن يقسو أيضا على عبيده بضرب أو قحط أو مملكة سوء ، وقرابينهم مبغوضة لاتقبلها .
الدسقولية(٦)

+ + +



عظيم هو عمل العطاء وكثيرة هى بركاته ، فبالعطاء :

١ – نمتثل بالله صانع الخيرات .

٢ – تصير لنا دالة عند محب البشر .

٣ – نُعتق من الدينونة .

٤ – ننال بركات زمنية وحياة أبدية .

٥ – بالصدقة نقرض الرب .

+ + +

١ – نمتثل بالله صانع الخيرات .

الاله الحى صانع خيرات ، يفيض بمحبته على البشر ، وهكذا إذ تمتد يدنا بعمل المحبة لإخوتنا نكون قد تشبهنا به ، وكما يقول الآباء :

+ ليس شيء يجعلنا هكذا مقربين من الله وعلى شبهه مثل هذا العمل الحسن !
القديس يوحنا ذهبى الفم(٧)

+ مالحاجة إلى ذكر فضائل هذه الصناعة ومآثرها ؟ إنها تعلمك كيف تصير شبيهاً بالله ، وهذا رأس كل الخيرات .

+ الصدقة قوية وذات سلطان حتى تحل القيود والأغلال ، وتبدد الظلام ، وتخمد سعير نار جهنم ، وتؤهل فاعليتها للتشبه بالله ، لقوله « كونوا رحماء كما أن أباكم الذى فى السموات هو رحيم » .

القديس يوحنا ذهبى الفم

+ الرحمة بالآخرين فضيلة سامية ، يُسر بها الله . وهى صفة غالية تتسم بها النفوس الصالحة وتزيدها فخراً ونبلا . إنها من صفات الله ، فكونوا رحماء كما أن أباكم الذى فى السموات هو رحيم .

القديس كيرلس الاسكندرى

٢ – تصير لنا دالة عند محب البشر

قدر مايتسع القلب لمحبة الإخوة يفرح به الأب ويأتمنه على كل مايملك ، حتى أدق أسراره .

وكما يقول **القديس ايرونيموس**(٨) أن كرنيليوس قائد المئة الايطالى الأممى صارت له دالة لدى الرب إذ قبله كأول فاتح لباب الايمان والمعمودية للأمم ، إذ كُتب عنه أنه إنسان ورع يخافه الله مع كل بيته ، **يقدم صدقات كثيرة** ويصلى إلى الله على الدوام (أع ١٠ : ١ ، ٢) .

+ إعط المساكين ، وهلم بدالة قدم صلواتك ، أى تحدث مع الإله كما يتحدث الإبن مع أبيه ، فليس شيء يقدر على دنو القلب إلى البارى مثل الرحمة .

مار اسحق السريانى

+ الرحمة تصعد الإنسان إلى علو شامخ وتعطيه دالة بليغة عند الله .

فكما أن الملكة متى أرادت الدخول إلى موضع الملك لايجسر أحد من رجال البلاط أن يمنعها أو يسألها عن المكان الذى تريد الذهاب إليه ، بل جميعهم يستقبلونها بابتهاج ، هكذا من يصنع الرحمة والصدقة يمتثل أمام الملك وهو عرش بدون عائق لأن الإله يحب الرحمة حباً شديداً ، وهى تبقى بالقرب منه ، لذلك قال الكتاب « قامت الملكة عن يمينك » . وذلك لأن الرحمة مفضلة عند الإله ، إذ جعلته يصير إنساناً لأجل خلاصنا .

القديس يوحنا ذهبى الفم

+ من يترحم على إنسان يصير باب الرب مفتوحاً لطلباته فى كل ساعة .

الشيخ الروحانى

٣ – نُعتق من الدينونة

أعمال الإنسان – مهما بلغت – تعجز عن الوفاء عن خطاياه .

وإنما نؤمن بربنا يسوع المسيح الذى « أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا » ، رو ٥ : ٢٥ ، هذا الإيمان ترافقه الأعمال التى نعملها بالمسيح الذى فينا ، والتى بدونها لانكون أبناء نور . إذ كنا قبلا أبناء ظلمة ، وأما الآن فنور فى الرب ، لذلك يليق بنا أن نسلك كأولاد نور (أف ٥ : ٨)

لكننا نتساءل : **هل للعطاء قدرة على عتقنا من الدينونة ؟**

يجيب الكتاب المقدس بأفاضة بالإيجاب ، نذكر منه قوله : « بالرحمة والحق يُستر الاثم » أم ١٦ : ٦ .

« فارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة للمساكين لعله يُطال أطمئنانك » د ا ٤ : ٢٧ .

« الصلاة جيدة مع الصوم والصدقة ، لأن الصدقة تنجى من الموت وتطهر من الذنوب » طو ١٢ : ٨ ، ٩ .

« أعطوا ماعندكم صدقة وهوذا كل شيء يكون نقياً لكم » لو ١١ : ٤١ .

« الماء يطفيء النار الملتهبة والصدقة تكفر الخطايا » حكمة يشوع ٣ : ٣٣ .

هذا لايعنى أن الصدقة فى ذاتها تقدر أن تكفر عن الخطية ، وإلا لما كان هناك حاجة للفداء ، إنما لأن الصدقة تعلن عن قلب قبل الخلاص وأمتلأ بالرب يسوع « المحبة » فأحب المحتاجين والمتألمين . ومن جانب آخر فإن الذى يحب الآخرين يستحق التمتع بالحب الإلهى المعلن على الصليب للجميع .

+ أحبائى .... فى أوقات كثيرة أذكركم وأعترف لكم بما يدهشنى كثيراً فيما ورد فى الكتاب المقدس ، وهو ينبغى علىّ أن ألفت أنظاركم إليه كثيرا .

أتوسل إليكم أن تتأملوا ما قاله ربنا يسوع المسيح عن نفسه ، أنه عندما يأتى فى يوم الدينونة ، فى نهاية العالم ، سيجمع كل الأمم أمامه ويقسم البشر قسمين : قسم عن يمينه والآخر عن يساره .

يقول الذين عن اليمين « تعالوا يامباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » . وأما الذين عن اليسار فيقول لهم « إذهبوا عنى .... إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وكل ملائكته » .

إبحثوا عن علة هذا الجزاء العظيم أو العقاب المريع .... لماذا يرث الأولون الملكوت ؟ « لأنى جعت فأطعمتونى » . ولماذا يذهب الآخرون إلى النار الأبدية ؟ « لأنى جعت فلم تطعمونى » ....

لم يقل الرب لهؤلاء « تعالوا رثوا الملكوت ، لأنكم عشتم أطهاراً ، لم تخدعوا إنساناً ، ولاظلمتم فقيراً ، ولاأعتديتم على تخم أحد ، ولا خدعتم أحداً بقسم » .... بل قال « كنت جوعانا فأطعمتمونى » . يالإمتياز الصدقة عن بقية الفضائل جميعها ، لأن الرب لم يشر إلى الكل بل إليها وحدها ! !

كذلك يقول للآخرين « اذهبوا إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته » . ومع أن هناك أشياء كثيرة يمكن أن يثيرها ضد الأشرار عندما يسألونه : « لماذا نذهب إلى النار الأبدية » ، لكنه يجيبهم « لماذا تسألون هكذا أيها الزناة والقتلة والمخادعون ومنتهكوا حرمة المعابد والمجدفون وغير المؤمنين ؟ ..... » بل يقول لهم « لأنى جعت فلم تطعمونى » .

أراكم تتعجبون مثلى ، وحقاً إنه لأمر عجيب ، فقد كُتب : « الماء يطفىء النار الملتهبة ، والصدقة تكفر عن الخطايا » ، « اغلق على الصدقة أخاديرك فهى تنقذك من كل شر ، لذلك أيها الملك لتحسن مشورتى لديك ، وافتقد خطاياك بالصدقة » (راجع حكمة يشوع ٣ : ٣٣ ، ٩ : ١٥) .

وهناك شهادات كثيرة من الوحى الإلهى يظهر فيها ما للإحسان من فوائد كثيرة فى أخماد الخطايا وإزالتها لذلك سيلصق الإحسان بهؤلاء الذين على وشك أن يدينهم الله ، بل بالحرى سيتوجهم . وكأنه يقول لهم : أنه ليس صعب علّى أن أجد عليكم علة لإدانتكم متى أمتحنتكم ووزنتكم بدقة وفحصت أعمالكم ، لكن إدخلوا الملكوت لأنى كنت جائعاً فأطعمتمونى ، فستدخلون الملكوت ليس لأنكم لم تخطئوا ، لكن باحسانكم أزلتم خطاياكم .

كذلك كما لو كان يقول للآخرين : إذهبوا إلى النار الابدية المعدة لإبليس وملائكته .... إنه ليس بسبب ما تفكرون فيه من خطايا بل لأنى كنت جائعاً فلم تطعمونى ، **فلو ابتعدتم عن أفعالكم الشريرة هذه والتفتم الّى لخلصتم من كل جرائمكم وخطاياكم باحساناتكم** . لأنه « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون » مت ٥ : ٧ . ولكن الآن أذهبوا إلى النار الأبدية « لأن الحكم بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة » يع ٢ : ١٣ .

القديس أغسطينوس

+ يتكلم الروح القدس فى الكتب المقدسة ويقول « بالصدقة والإيمان يُستر الإثم » (أم ١٦ : ٦) .... وأيضا بقوله « الماء يطفىء النار الملتهبة والصدقة تكفر الخطايا » . إبن سيراخ ٣ : ٣٣ . وهنا يوضح أنه كما تطفىء نار جهنم بماء الخلاص ، هكذا بالصدقات والبر يخمد لهيب الخطايا . فإذ تُوهب فى المعمودية مغفرة الخطايا مرة واحدة عن جميع الخطايا ، فإن العمل المستمر الذى بلا أنقطاع – تابعا مثال المعمودية – يهب مراحم الله مرة أخرى .

وقد علمنا الرب أيضاً بهذا فى الإنجيل ، لأنه عندما أُشير إلى التلاميذ أنهم يأكلون بدون غسل أيديهم ، أجاب قائلا : « الذى صنع الخارج صنع الداخل أيضا . **بل أعطوا ماعندكم صدقة وهوذا كل شىء يكون نقيا لكم » لو ١١ : ٤٠ ، ٤١** .... يعلمنا ذاك الحنون ويحثنا على العطف . فإذ هو يبحث عن خلاص أولئك الذين قُدم عنهم تضحية هذا مقدارها ، أشار أيضا عن الذين بعدما نالوا نعمة العماد وصنعوا الخطية أنه يمكنهم أن يتطهروا من جديد .

إذن ليتنا أيها الأخوة الأحباب نعرف تلك العطية واهبة الشفاء التى للرحمة الإلهية ، نحن الذين لايمكن أن نوجد بلا جراحات من جهة الضمير .

ليتنا نشفى جراحتنا بأدوية روحية مطهرة ، غاسلة للخطايا .

ليته لايتملق الإنسان نفسه متوهماً أن قلبه نقى مختون ، معتمداً على بره الذاتى ، حاسباً أن جراحاته غير محتاجة إلى دواء بينما مكتوب : « من يقول انى زكيت قلبى تطهرت من خطيتى ؟ ! » أم ٢٠ : ٩ .

واخيرا أيها الإخوة الأحباء ، إن النصائح الإلهية فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لم تكف عن حث شعب الله دائما وفى كل موضع لفعل أعمال الرحمة .

لقد أمر الله أشعياء قائلًا : « نادِ بصوت عالٍ ، لاتمسك ، إرفع صوتك كبوق وأخبر شعبى بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم » وإذا أوصى بأن خطاياهم صارت عليهم وأن سخطه قد إشتد على آثامهم قال أنه ليس بالتوسلات أو الصلوات أو الأصوام يمكن التكفير عنها ، ولابالمسوح والرماد يسترضوا غضبه ، إنما أظهر فى النهاية إنه يمكن أن يعفو عنهم بالصدقات وحدها ، قائلا : « أليس أن تكسر للجائع خبزك ، وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك ، إذا رأيت عريانا أن تكسوه ، وأن لاتتغاضى عن لحمك ، حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك ، وتنبت صحتك سريعاً ، ويسير برك أمامك ، ومجد الرب يجمع ساقتك . حينئذ تدعو فيجيب الرب ، تستغيث فيقول هأنذا .... » إش ٥٨ : ١ - ٩ .

الشهيد كبريانوس[٩]

+ من أجل أنك لم ترحم الآخرين ، فلا يصنع بك رحمة أيضا ، ولأنك أغلقت باب بيتك إزاء المساكين فلا يفتح لك الإله باب ملكوته .....

أن كنتم قد هربتم من الرحمة فالرحمة تهرب منكم . وأن رذلتم الفقراء فيرذلكم ذاك الذى صار فقيراً حباً لكم .

باسيليوس الكبير

٤ - تنال بركات زمنية وحياة أبدية

يقول **القديس يوحنا ذهبي الفم** : [من له نفس محبة رحومة يكون كمن له كنز من البركات ، إذ تكون ينبوعاً لإحتياجات إخوته ومصدر تمتع بكل المكافآت التى أعدها الإله[١٠]] .

لقد وعد الرب أن من يترك من أجله يأخذ فى هذا العالم مئة ضعف وفى العالم الآخر حياة أبدية .... هكذا لايترك الرب نفسه مديناً دون أن يفى دينه مضاعفا .

أمثلة

+ قيل عن شيخ أنه كثير الرحمة، فحدث غلاء عظيم، لكنه لم يتحول عن فعل الرحمة حتى نفذ كل شيء له، ولم يبق عنده سوى ثلاث خبزات. فحين أراد أن يأكل أحب الله إمتحانه، وذلك بأن قرع سائل بابه. فقال فى نفسه: « جيد لى أن أكون جائعاً ولا أرد أخ المسيح خائباً فى هذا الغلاء العظيم» فأخرج خبزتين له وأبقى لنفسه خبزة واحدة وقام وصلى وجلس ليأكل، وإذا بسائل يقرع الباب، فضايقته الأفكار من أجل الجوع الذى كان يكابده. ولكنه قفز بشهامة وأخذ الخبزة وأعطاها للسائل قائلا « أنا أؤمن بالمسيح ربى أنى إن أطعمت عبده فى مثل هذا الوقت الصعب، فإنه يطعمننى هو من خيراته ..... » وبقى هكذا ثلاث أيام لم يذق شيئا وهو يشكر الله.

وبينما كان يصنع خدمة بالليل جاءه صوت من السماء يقول له: « لأجل أنك أكملت وصيتى، وغفلت عن نفسك، وأطعمت أخاك الجائع، لايكون فى أيامك غلاء على الأرض كلها ». فلما أشرق النور وجد على الباب جمالا محملة خيرات كثيرة فمجد الله.

الأب بلاديوس

+ إن رحمنا الآخرين نلنا أجزل مكافأة، فقد وعدنا السيد المسيح بالكيل الملبد المهزوز، وفى موضع آخر كتب « بالكيل الذى تكيلون به يكال لكم » .... « ومن يزرع بالشح فبالشح أيضا يحصد، ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضا يحصد. كل واحد كما ينوى بقلبه. ليس عن حزن أو اضطرار، لأن المعطى المسرور يحبه الرب » ٢ كو ٩: ٧.

القديس كيرلس الأسكندرى

+ لاتظن أن أموالنا تنقص أو تبدد عندما نعطى منها صدقة للمساكين، بل تتضاعف متكاثرة وتنمو متزايدة، فالذى يضع أمواله فى يد السيد المسيح يحفظها من كل آفة وبلية، لأنه لايجسر أحد أن يختلسها من يد السيد المسيح ...

إن كان البارى يعطى من غير أن يأخذ فكم بالأولى يعطى لو أخذ ؟ !

القديس يوحنا ذهبى الفم

+ مشورتى لكم هى هذه « إعطوا الفقراء فيكون لكم كنز فى السماء » مت ١٩ : ٢١ .

لاتبقوا بلا كنز ، بل ما اقتنيتموه بقلق تمتلكونه فى السماء بدون هّم . إننى أعطيكم مشورة للحفظ لا للفقدان .... أنه ليس تبديداً بل أدخار .

لينقل البشر أمتعتهم إلى السماء ، لأنه لو وضعتم القمح على الأرض المنخفضة ثم جاءكم صديق له علم بطبيعة القمح والأرض .... يقول لكم : ضعوه على أرض مرتفعة .

أنكم تخشون من وضع قمحكم على الأرض المنخفضة ، فهل تفقدون قلوبكم فى الأرض ؟ !

أنظروا إلى الرب إلهكم الذى عندما قدم مشورة خاصة بقلوبكم قال : « حيث يكون كنزك هناك قلبك أيضا » مت ٦ : ٢١ . ويقول : ارفعوا قلوبكم إلى السماء حتى لاتفسد الأرض .

يليق بنا أن يكون لنا فى السماء ماتخسره هنا على الأرض ! ....

القديس أغسطينوس

+ إن كان لأجل كأس ماء بارد تمنحه للضيف تنال ملكوت السموات ، فكم من الخيرات تنال لو دعوته للتمتع بغناك وجعلته شريكا لك على مائدتك ؟ !

كيف لانستيقظ من نومنا ونتنبه إلى أننا مقيمون فى بلاد غريبة (العالم) ، وإننا عما قليل نعود إلى أوطاننا (السماء) ، ونحن الآن غافلون عن حمل أموالنا ونقل أمتعتنا إليها ؟ ! ....

مابالنا نجد ههنا الذين ينقلون أموالنا بلا تعب ولا مشقة ولاأجرة ولا زاد ، ويرسلونها إلى منازلنا سالمة من خطر الطريق ، ومع ذلك نردهم خائبين ؟ !

القديس يوحنا ذهبى الفم

+ إستأجر المساكين .... فيعدون لك مكاناً عالياً فى عالم النور ، تضع فيه خزائنك . هم يبنون لك مقصورة عظيمة ممتلئة خيرات لتدخل فيها وتسكن تجد كل كنوزك .

هم سيكونون زمرة محفوفة بك فى الطريق وبذلك التصريح العظيم يسألون عنك ويخلصونك .....

هم يفتحون باب العريس قبل أن تقرع .....

كن صديقاً لهم حتى يقبلونك فى مظالهم .

مار يعقوب السروجى

محب الفقراء يكون كمن له شفيع فى بيت الحاكم ! من يفتح بابه للمعوزين يمسك فى يده مفتاح باب الله ! من يقرض الذين يسألونه يكافئه سيد الكل !

القديس يوحنا التبايسى(١١)

٥ – بالصدقة نقرض الرب

+ « من يرحم مسكينا يقرض الرب » .

لم يقل « يعطى » بل « يقرض » ، وذلك لأن الكتاب يعلمنا حب الأغتناء . فإننا لانمل من الاغتناء ، بل دائما ننتظر الزيادة ونطلبها ، لذلك قال « يقرض الرب » .....

أما تقبل أن يكون الله مديناً لك لادائناً ، وأنت تعلم أن المدين يوقر الدائن ، أما الدائن فلا يستحى منه المدين .

القديس يوحنا ذهبى الفم

+ يأمرك الله ذاته أن تكون مرابيا ، فيقول لك « اقرض الرب » ....

الفقير لايملك شيئا يرده لك ، ومع ذلك يريد أن يكافئك فلايجد ما يكافئك به .... لكنه عندما يصلى كأنه يقول « يارب لقد اقترضت هذا ، فكنت أنت

ضامناً لى ، وبذلك لاترتبط مع الفقير لتلزمه بسداد ديونه ، بل ترتبط مع الرب الضامن .

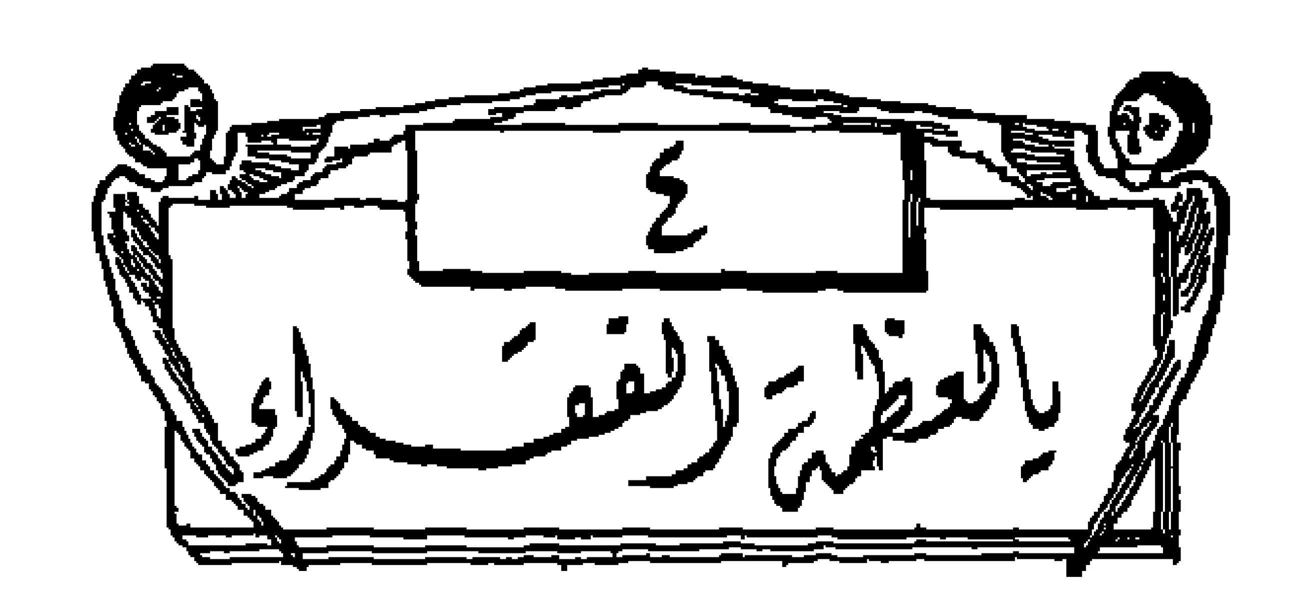
القديس اغسطينوس

هل يقبل أحد المولين أن يقرض إنساناً غير مؤتمن ؟ ! لذلك إعتاد المقرض أن يطلب من المقترض وثيقة أو رهناً أو ضماناً .... حتى يستأمنه على القرض .....

وإذ يعلم الله عدم إنسانية الممول قدم ذاته الشريفة وسيطا ، وصار ضامناً للفقير ورهناً للمقرض .

القديس يوحنا ذهبى الفم

+ + +



قيل عن أحد أبناء الله المبنيين على الإيمان الأقدس ، المنقادين بالروح القدس بحفظ وصاياه ، منحصراً فى حب المسيح ، أنه ظهر له السيد المسيح مشجعاً إياه على جهاده .... وإذا بأحد المساكين يقرع بابه ، فأستأذن من السيد لأجله .... ثم عاد يعتذر للسيد ، فإذ به يجيبه : « مبارك أيها الحبيب ، لأنك لو لم تتركنى للقيام بخدمتك لتركتك أنا من أجله » .

وهكذا لايعرف قيمة المسكين إلا من كان له قلب ربنا يسوع الذى صار فقيراً ، آخذاً صورة العبد من أجلنا ، ليحررنا من عبودية الخطية ، ويُغنينا بمواهب روحه القدوس .

كلما تطلعنا إلى الفقير يرتفع قلبنا إلى الرب الذى أحبنا وأفتقر ليغنينا .

وقد حدثنا آباؤنا الأولون عن الألتزام بالأهتمام بالفقراء وتكريمهم إذ :

أولا : ترى فيهم شخص الرب يسوع

تشهد الأسفار المقدسة والتاريخ الكنسى كيف إستطاع كثير من المؤمنين أن يستضيفوا ربنا يسوع خلال صدقتهم لأخوتهم مثل إبراهيم أب الآباء ، والقديس الأنبا بيشوى الذى كان يظهر له الرب مراراً ، فطلب منه أولاده الرهبان أن يروا الرب مثله .

وفى أحدى المرات لما خرجوا إلى الجبل دق ناقوس الدير فأسرع الكل بالعودة للصلاة ، وإذا برجل عجوز يظهر لهم طالباً منهم أن يحملوه إلى الدير ، فاعتذر كل واحد منهم لضيق الوقت . أما الطوباوى بيشوى ، الرجل المسن ، فحمله وسار به ، فوجده خفيفاً جداً .

وعند الباب ثقل عليه جداً فعرف أنه الرب ، وللحال قال له : « أنت مالىء السموات والأرض كيف أستطيع أن أحملك ؟ ! » .

+ كان رئيس دير أباً لمائتى راهب ، هذا زاره السيد المسيح بصورة شيخ مسكين ، فسأله البواب أن يقول للمعلم عنه . دخل فوجده يخاطب آخرين ، ثم عرفه ، فقال له « دعنا فى هذا الوقت » ، فتأخر البواب .

وعند الساعة الخامسة زارهم رجل موسر ، فتلقاه رئيس الدير بسرعة ، فتقدم ربنا سائلا قائلًا : « أنا أريد يامعلم أن أكلمك » ، أما الرئيس فدخل مع ذلك الغنى مسرعاً ليعد له طعاماً بحجة أنه غريب . وبعد الأكل شيّعه إلى الباب ونسى المسكين إلى المساء ، ولم يقبل الغريب المسكين . ثم أنصرف الرب بعد أن راسله على لسان البواب قائلا « قل للمعلم إن كنت ترى كرامة وتشريفاً فذلك لأجل سالف تعبك . انى مرسل لك أقواما يزورونك من أربع جهات الدنيا ، وأما خيرات ملكوتى فلا تذوقها . فعرف حينئذ أن الشيخ المسكين هو الرب ، فندم وتألم .

الأب بلاديوس

+ يالعظم مرتبة الفقراء ، لكونهم نظير خدر الله ، والبارى يختفى فيه . فالفقير يمد يده متسولا ، لكن الله هو الذى يقبل صدقتك .

+ إذا صنعت مع أحد رحمة ، أمد يدى أيضا مع ذلك المسكين وأتناول ذلك الفلس الذى أعطيته إياه .

لقد بلغك عنى أنى متسربل بالنور كالرداء ، لكنك متى كسوت عرياناً أشعر أنا بدفء واننى تسترت !

تعتقد اننى جالس عن يمين أبى فى السموات ، ولكنك متى ذهبت إلى السجن تفتقد المسجونين ترانى جالساً هناك ....

+ إذا كان السيد المسيح خالقك لايستحى أن يمد يده ويتناول الصدقة المعطاة للمساكين ... فالأولى بنا ألا نأنف من خدمة المساكين وإراحتهم ، لأنه بخدمتهم تتقدس أيدينا ، فإذا رفعناها فى الصلاة ينظرها الله مباركة ، فيتحنن عليها ويعطينا سؤالنا تماماً .

القديس يوحنا ذهبى الفم

ثانيا : ستخرج من العالم مثله عاريا

عجباً أن نفتخر على الفقير بالأكل الدسم والثياب الثمينة والمقتنيات الكثيرة ، مع أننا جميعا ندرك أننا : « لم ندخل العالم بشيء » كما أننا لانقدر أن نخرج منه بشيء ، فأى فخر لنا على الآخرين ؟ !

+ قد تقول اننى لست مثل من يسألنى شيئاً ، فشتان ماببنى وبينه ؟ واحد يلبس حريراً وينتفخ متكبراً فى حديثه مع شخص مغطى بخرق ....

أنظر أيها الغنى واستدع ذاكرتك الأولى . أنظر أن كنت قد جلبت معك شيئاً . حقاً قد أتيت ووجدت هنا غنى فادحاً لكننى أتوسل إليك أن تخبرنى : ماذا قد أحضرت معك إلى هنا ؟ أخبرنى ، فإن كنت تخجل إسمع ما يقوله الرسول : « لم ندخل العالم بشيء » ١ تى ٦ : ٧ .... ولكن إن كنت لم تدخل العالم بشيء لكنك وجدت هنا الكثير ، فهل تأخذ معك شيئا إلى هناك ؟ .... لتسمع فى هذا أيضا فيخبرك الرسول الذى لايتملق أحداً « أننا لانقدر أن نخرج منه بشيء » .... إذن لماذا تنتفخ بنفسك على الفقير ؟ ....

لتلد أمرأة غنية مع أخرى فقيرة ، ولندعهما لايلاحظان طفليهما ، لنخرجهما إلى فترة قصيرة ثم نرجعهما وعندئذ ليعرفا طفليهما إن استطاعا ! !

أنظر إذن إيها الغنى أنك « لم تدخل العالم بشيء وواضح أنك لاتقدر أن تخرج منه بشيء » وماقلته فى حالة الميلاد أقوله فيما يخص الموت .... فإن فُتحت قبور قديمة لسبب ما ، فليظهروا عظام الغنى إن استطاعوا ! !

+ قد تقول : إننى حصلت على مأدبة غالية وأقتات بقوت غالٍ وأما الفقير فبماذا يقتات ؟ بطعام رخيص .... حسناً .

ولكن بعدما تشبعان ، عندما يدخل الثمين إلى جوفك ، أسألك ماذا يكون حال دخوله ؟ ! لو كان فى داخلنا مرآة أما كنا نخجل من كل الأطعمة الغالية التى شبعنا منها ؟ !

الفقير يجوع والغنى أيضاً ، الفقير يطلب شبعاً والغنى أيضا ، الفقير يشبع بطعام زهيد والغنى بقوت غال ، لكن كليهما تشابها فى الشبع ....

أحدهما يبلغ رغبته بطريق قصير والآخر بطريق ملتو قد تقول أننى أتلذذ بالأكثر بطعامى الثمين . حقاً ، بل ويصعب أن تكتفى وترضى بما أنت عليه . إنك لم تختبر اللذة التى يخلقها الجوع . لست أقول هذا لكى أخبر الغنى أن يقتات بطعام الفقير وشرابه ، بل فليعملوا بحسب ما اعتاد ضعفهم عليه ، لكنهم يجب أن يحزنوا لعدم قدرتهم على العمل بخلاف ذلك (أى أكل الطعام الزهيد) .... إن كان الفقير لاينتفخ بفقره ، فكيف تنتفخ أنت بضعفك ، استخدم كل مايحلو لك وكل الطعام الغالى لأنك اعتدت عليه ولاتستطيع أن تفعل غير هذا ، لأنك تمرض إن غيرت ما اعتدت عليه .....

انكما تسلكان طريقاً واحداً ، وهو لايحتمل شيئاً أما أنت فمثقل للغاية ، انه لايحمل شيئاً معه ، وأنت تحمل فوق احتياجاتك ، إعطه مما هو معك وبذلك تقوّته ، وفى نفس الوقت تخفف من حملك .

القديس أغسطينوس(١)

ثالثاً : يقدم لك ابلغ العظات

أروع العظات تلك التى تعبر عن حقيقة الحياة المتغيرة لكن مهما أوتى الواعظ من البلاغة فكيف يستطيع أن يتحدث كالفقير الذى أختبر بنفسه حقيقة الحياة ؟ !

+ لايوجد طبيب حاذق فى إزالة الفساد من جراحاتنا باستخدام الآلات مثلما يفعل الفقير الذى يمد يده اليمين ويحمل الصدقة شافياً القروح التى سببتها جراحاتنا .

وماهو مدهش بحق أنهم يقومون بهذه العملية الممتازة دون أن يحدثوا ألماً أو تعذيباً ، فنحن الذين نقود الشعب ونقدم لهم نصائح قويمة لانستطيع أن نقدم عظة مثل هؤلاء الذين يجلسون على أبواب الكنائس صامتين حاملين الألم .

فنحن كل يوم نبوّق لكم قائلين : « أيها الرجال ، لاتتكبروا ، فإن الحياة البشرية ستنتهى ، فهى تستعد للسقوط . إن شبابنا يسرع نحو الشيخوخة وجمالنا ينتهى إلى

القبح وقوتنا إلى الضعف ، وكرامتنا إلى الهوان ، وصحتنا إلى المرض ومجدنا إلى لاشىء ، وغنانا إلى فقر ، واهتماماتنا تنجرف كما بتيار شديد دون أن تبقى » :

إن نفس هذه العظة بل وأعظم منها يقدمها لنا هؤلاء بمظهرهم واختباراتهم .

القديس يوحنا ذهبى الفم

رابعاً : قد يغتنى وانت تفتقر

نخطىء إذ نقيس الغنى بالمقاييس المادية الزائلة ، فنحسب أنفسنا أغنياء وهم فقراء ، مع أن ربنا يسوع نظر فى الأرملة التى أعطت كل ماعندها إنها غنية جداً وأما الأغنياء فرآهم فقراء بائسين .

يا للجهلاء الذين يلعنون الفقراء ، ويزعمون أن الفقر يدنس المنازل ويقبحها . قل لى ماالذى يدنس المنزل ، هل عدم وجود الأسرّة التى من العاج أو الأوانى الفضة .... أم تلك المنازل التى تحاكى أماكن الرقص ؟

تعلم كيف يكون للمنزل جمالًا وزينة ، أدخل إلى منزل زكا لتتعلم منه فإنه لما كان السيد المسيح مزمعاً أن يدخل فيه ، لم يزينه زكا باعارته أبواباً ديباجية وكراس وأسرة عاجية ولا أخرج من خزائنه الأبسطة العظيمة ، بل زيّن المنزل بزينة تليق بالسيد المسيح ، إذ قال : « سأعطى المساكين نصف أموالى ومن وشيت به أرد له أربعة أضعاف ..... »

وكرنيليوس كان يزين منزله بالصلوات والصدقات ، وهاهو اليوم مزهر ومتلالىء أكثر من قصور الملوك .

القديس يوحنا ذهبى الفم

+ لقد أخطأت وخدعت نفسك إذ تحسب نفسك غنياً فى هذا العالم ، إنصت إلى صوت الرب فى سفر الرؤيا ، موبخاً من هم على شاكلتك بتوبيخات مقدسة قائلا : « لأنك تقول إنى أنا غنى وقد استغنيت ولاحاجة لى إلى شىء ولست تعلم أنك أنت الشقى والبئس وفقير وأعمى وعريان ، أشير عليك أن تشترى منى ذهبا مصفى بالنار لكى يستغنى وثياباً بيضاء لكى تلبس فلا يظهر خزى عريتك . وكحل عينيك بكحل لكى تبصر » رؤ ٣ : ١٧ ، ١٨ .

أيها الغنى أشتِر لنفسك من المسيح ذهباً مصفى بالنار ، حتى تصير ذهباً نقياً ، فتحترق نجاستك كما بنار ، إن غسلتها بالصدقات ....

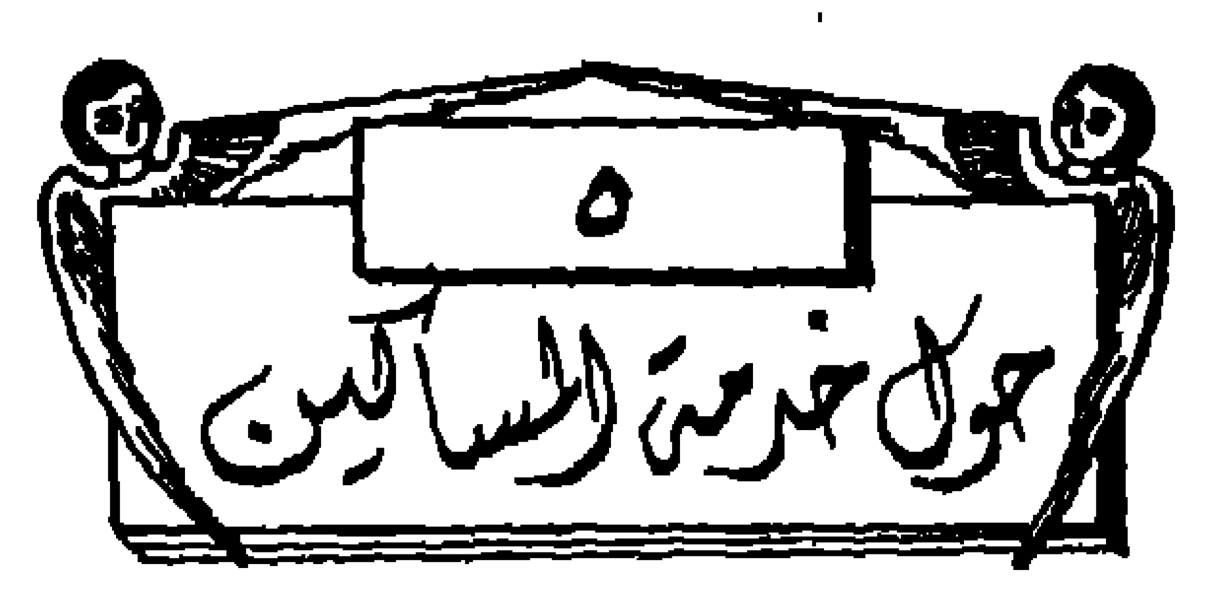
أشتِر لنفسك ثياباً بيضاء ، فتلبس ثوب المسيح الأبيض ، يامن تعريت منذ آدم وصرت خائفاً ومخزياً .

يامن أنت غنى وثرى فى كنيسة المسيح ، كحّل عينيك لابروائح الشيطان بل بكحل المسيح ..... لأن عينيك اللتين أظلمتا بظلام السواد وتظللتا فى الليل ، لاتران المحتاج والفقير .

ليخجلْ الأغنياء من عقرهم وعدم إيمانهم ، فالأرملة المحتاجة مادياً ، وُجدت غنية فى الأعمال . ومع أن ماقدم سيوزع على الأرامل والأيتام فإن تلك التى لاق بها أن تأخذ أعطت .

الشهيد كبريانوس

+ + +



أولا : اخدم بنفسك

يذكر لنا التاريخ الحديث عن الأنبا صرابامون أسقف المنوفية أنه كان يسير متنكراً فى الليل حاملًا سلة ثقيلة بها إحتياجات الفقراء ، حتى ظنه أحد خدام البطريركية بالقاهرة لصاً ، فسار خلفه حتى رآه يقف بباب ويقرعه ، فانفتح له الباب وسلم السلة دون أن ينطق بكلمة واحدة ، وعاد من حيث أتى ، وعندئذ تقدم الخادم الذى يدعى حنا النجار وأمسك به فما رآه حتى علم أنه الأنبا صراباموں ، فقد كان يحمل الدقيق والقمح بنفسه إلى العائلات التى تخجل من أن تطلب صدقة . هكذا من يدرك محبة المسيح له يشتاق أن يخدم فى إخوته الفقراء بنفسه .

+ كثيرون يقدمون الصدقة ، لكن قليلون هم الذين يخدمون المساكين بأنفسهم فى شوق وبإشتهاء ، لأن هؤلاء يحتاجون إلى شجاعة ونفس قوية .

+ تأمل ما صنعه الشيخ المكرم ابراهيم فى منتصف النهار وقت الظهيرة ، حيث لم يجلس تحت سقف بل ترك ذلك الحسيب ، أب الآباء ، بيته وأمرأته وأولاده وغلمانه وخرج باسطاً شباك رحمته لإقتناص محبة الغرباء ، حتى لايفوته إنسان أو يهرب منه غريب أو عابر سبيل دون أن يستضيفه .

أنظر ماذا صنع ابراهيم ؟ ! إنه لم يرسل عبده لينفذ أغراضه .... لعلمه أن جنس العبيد ذو أهمال وكسل ، ولئلا بتهاونه يفوته الصيد ، ويتجاوزه الغريب دون أن يشعر به ، لهذا باشر الأمر بنفسه .

ثم دعى سارة أمرأته لتشاركه محبة الغرباء ، لأنه بالنسبة للمتفقين فى المحبة ، للرجل والمرأة ، يلزمهما أن ينفذا محبة الغرباء معاً ..... فقد قال لها : إنهضى وأعدى الدقيق وإخبزى خبزاً جيداً .... أما سارة المحبة لإضافة الغرباء فلم تخالفه ، ولا قالت

له ماتقوله أكثر نساء زماننا : ماهذا الذى أصابنى منك ؟ ! ألعلى عاملة أو خبازة حتى أخبز خبزاً ؟ ! هاالخادمات كثيرات فلم لاتأمرهن بذلك ؟

القديس يوحنا ذهبى الفم

ثانياً : إعط بسخاء وسرور

القلب الذى أمتلأ بالحب أى بالله لايكف عن أن يعمل كأبيه الصالح « يعطى الجميع بسخاء ولايعير » يع ١ : ٥ .

قلب المؤمن الحقيقى يشبع بربنا يسوع المسيح حبيبه ، فيكون محباً للعطاء أكثر من الأخذ ، يعطى بفرح وسرور ، لاعن ضيق وتذمر أو تغصب ، بل يتوق لو باع جسده وقدم ثمنه للآخرين فى رضى .

والقلب الذى قدم ذاته أولا للرب (٢ كو ٨ : ٥) لايحتاج إلى من يوصيه بالعطاء بسخاء ، إذ لايملك حتى ذاته . ومع ذلك أوصانا الكتاب : « **على قدر ماتسمح يدك أن تعطى كما يباركك الرب إلهك** » تث ١٦ : ١٠ ،

« أوص الأغنياء فى الدهر الحاضر .... أن يكونوا أسخياء فى العطاء كرماء فى التوزيع » ١ تى ٦ : ١٧ ، ١٨ ،

« لتكون هى الصدقة معدة هكذا كأنها بركة لا كأنها بخل ، هذا وأن من يزرع بالشح فبالشح أيضا يحصد . ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضا يحصد . كل واحد كما ينوى بقلبه ليس عن حزن أو أضطرار ، لأن المعطى المسرور يحبه الله » ٢ كو ٩ : ٥ — ٧ .

أمثلة

+ قال انبا يوسف مرة بخصوص المحبة : أن أخاً جاء إلى أنبا أغاثون فوجد معه مسلة خياطة ، فأعجب الأخ بها لأنها كانت جيدة ، فما كان من الشيخ إلا أن يتركه يمضى إلا بها .

+ مضى الأب أغاثون مرة ليبيع عمل يديه فوجد إنساناً غريبا مطروحا وليس له من يهتم به . فحمله واستأجر له منزلا وأقام معه يخدمه ويعمل بيديه ويدفع أجرة

المسكن وينفق على العليل مدة أربعة أشهر حتى شُفي . وبعد ذلك إنطلق إلى البرية ، وكان يقول : كنت أشاء لو وجدت رجلاً مجزوما يأخذ جسدى ويعطينى جسده .

+ حدث مرة أن مضى إلى المدينة ليبيع عمل يديه فوجد إنساناً مجزوماً على الطريق ، فقال له المجزوم : إصنع معى رحمة وخذنى معك . فحمله وأتى به إلى المدينة . ثم قال له المجزوم : خذنى إلى حيث تبيع عمل يديك فأخذه . ولما باع عمل يديه سأله المجزوم : بكم بعت ؟ فقال : بكذا وكذا . فقال له : إشتر لى شبكة : فاشترى له .... ومضى وباع ثم عاد ، فقال له المجزوم : بكم بعت ؟ ... خذ لى كذا وكذا من الأطعمة ، فأخذ له .

ولما أراد المضى إلى قلايته قال له : خذنى إلى الموضع الذى وجدتنى فيه أولا ، فحمله ورده إليه . فقال الرجل مبارك أنت من الرب إلهنا الذى خلق السماء والأرض . فرفع أنبا أغاثون عينيه فلم يره لأنه كان ملاك الرب أُرسل إليه ليجربه .

الاب بلاديوس

+ إن سألك أخ أن تعيره إناءك فإعطه إياه ، بالرغم من احتياجك إليه وعدم وجود غيره لديك ، وإياك أن تجلس بعد ذلك متضايقاً مرتبكاً ، فخير لك أن يهلك أحد أعضائك من أن يذهب جسدك كله إلى جهنم .

انبا أشعياء(١٢)

وتكشف لنا رسالة **الاب جيروم** إلى يوستوخيوم عن سمات المسيحى الحقيقى فى عطائه بسخاء ، فقد تحدث عن والدتها المنتقلة Paula قائلًا :

إن رأت Paula إنساناً فقيراً عالته . وإن رأت غنياً حثته على صنع الخير .

سخاؤها بلا حدود . حقاً ، فقد كانت حريصة ألا ترد فقيراً فارغاً ، ولو أقترضت من أجله بالربا ....

إننى كنت أخطىء عندما كنت انتهرها على أسرافها فى السخاء ، محدثاً إياها بكلمات الرسول القائل : « فإنه ليس لكى يكون للآخرين راحة ولكم ضيق . بل

بحسب المساواة . لكى تكون فى هذا الوقت فضلاتكم لأعوازكم تصير فضالتكم لأعوازكم حتى تحصل المساواة » ٢ كو ٨ : ١٣ ، ١٤ .. . أما هى فباتضاعها وباجابتها المختصرة أفحمتنى ، إذ قالت : « الله شاهد علىّ ، أن ما أصنعه إنما لأجل الله **أن طلبتى أن أموت شحاذة لاأترك فلساً واحداً لابنتى بل تقترض من الغرباء لشراء أكفانى** » . وقد ختمت حديثها بهذه الكلمات « إننى إن شحدت أجد كثيرين يعطوننى ، أما هذا الفقير فإن لم يجد عوناً منى بأن أقترض وأعطيه يموت ، وإن مات فممن تطلب نفسه ؟ » .

كنت أرغب فيها أن تكون أكثر حرصاً فى تدبير ممتلكاتها ، لكن إيمانها كان أقوى من إيمانى ، ملتصقة بالرب بكل قلبها ، فقد إتبعت بمسكنة روحها الرب فى فقره ، وردت له ماأخذته منه لتصير فقيرة من أجله ....

لقد أعطت أموالها لكل سائل بحسب إحتياجه . لم ترد فقيراً ما فارغ اليدين . وهذا كله لم تستطع أن تصنعه بسبب كثرة غناها ، بل بعنايتها فى تدبيرها لثروتها . دائماً تجدين على شفتيها أمثال هذه العبارات :

« طوبى للرحماء لأنهم يرحمون » .

« كما أن الماء تطفىء النار ، كذلك الصدقة تخمد الذنوب » .

« أصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم فى المظال الأبدية » .

القديس ايرونيموس

ثالثاً : ادع المساكين الى ولائمك

+ ليكن مرافقوك والذين يأكلون معك أناساً فقراء وأحراراً ، لاخائنين ومغنين ، **فيكون منزلك كنيسة لامسرحاً** ، فيهرب الشيطان ويدخل المسيح ومعه زمرة الملائكة .

+ هذه المائدة التى للفقراء يكون فيها السيد المسيح ، وأما تلك التى للعظماء فيكون فيها العبيد .... والإتكاء مع الله الملك يوجب اللذة أكثر من الإتكاء مع العبيد .

١ – فأننى أنا والذين معى أخترنا مائدة الفقراء لنكون فى حرية وبهجة لنتكلم ونسمع مانشاء . أما أنتم يامن أخترتم مائدة العظماء فتكونون كالجالسين فى المدرسة وليس على مائدة غذاء .....

٢ – ومن جهة المصاريف فهذه المائدة أفضل ، أما تلك فنفقاتها كثيرة .... إذ يخشى المرء أن يعمل شيئاً بلا تمييز فيذمه الكثيرون ....

٣ – فى الوليمة الأولى يفقد الشخص معروفه حالً ، أما الأخرى فيبقى الإله غريمه .... لأن الطعام يباد ، أما النعمة فلا تُباد بل تجعله مسروراً كل يوم أكثر ممن يشربون الخمر .

٤ – لننظر ماذا يحدث أثناء تقديم المائدة ، ففى الوليمة الأولى نجد الآلات الموسيقى ، أما الثانية فلا تجد شيئا من هذا بل تجد تسابيح وتراتيل فهناك تسبحة للشياطين ، وأما هنا فتسبحة الإله سيد الكل .....

كيف لايكون أمراً رديئاً أن تجمع فى دارك مغنيات ، وتتلذذ كالخنزيرة المتمرغة فى الحمأة ؟ !

٥ – اتريد أن تعرف نهاية الوليمة ؟ الذين ينهضون عن تلك الوليمة يشبهون المصروعين والمجانين ، فيضحك عليهم الخدام .... أما مائدة المساكين فلا يوجد مثلها ، إذ تُرفع بالشكر ....

٦ – الذى يدعو المساكين يدفعه إلى هذا العطف والوداعة ، أما الذى يقدم تلك الوليمة فيقدمها بالمجد الفارغ .....

القديس يوحنا ذهبى الفم

رابعاً : هل نبحث عن استحقاقاتهم ؟

الصدقة تقدمه شخصية للرب ذاته ، بغض النظر عن مستلم التقدمة والمتصرف فيها ، دافعها الحب الحقيقى الذى يربطنا بالرب ويربطنا ببعضنا البعض فى الرب .

جاء فى بستان الرهبان :

+ كان لراهب ثوب جيد ، فتصدق به على مسكين ، وبعد يوم مرّ الراهب بالمدينة ، فأبصر ثوبه على زانية فحزن جداً . فتراءى له ملاك الرب وقال له « لاتحزن لأن ثوبك لبسته زانية ، لأنك ساعة أن دفعته لذلك المسكين لبسه المسيح ، وإن كان ذاك قد أعطاه للزانية فهو يحمل إثمه على نفسه » .

القديس بلاديوس

+ الأفضل لك أن يدعوك الأكثرون عامياً ، لأجل بساطة يدك فى العطاء بقصد مخافة الله لا طلبا للمدح ، ولايدعونك حكيماً رزين العقل لأجل عدم اعطائك كل أحد .

فإن مدّ إليك فارس يده طالباً صدقة ما لاترده .... لأنه فى ذلك الوقت لامحالة محتاج كواحد من الضعفاء . وإذا منحته فليكن ذلك بطيب نفس وبهجة وجه ....

لاتفحص غنيا من فقيراً ، ولاتعرف المستحق من غير المستحق ، بل ليكن الناس كلهم عندك متساويين فى الخير ، لأنك بهذا تقدر أن تجذب إلى الخير غير المستحق .... والدليل على ذلك أن الرب تقدس إسمه شارك فى موائد عشارين وزوانى ، ولم يفرز غير المستحقين ... لأنه بالشركة فى الجسديات جذبهم إلى الشركة فى الروحيات . لهذه العلة ساوى بين الناس فى قاطبة الخير والكرامة .

القديس مار اسحق السريانى

+ أترى إن كان الفقير شريراً قاتلًا ولصاً وصانعاً للرذائل وسألك قوتاً لتغذية جسده ، أو شيئاً يسيراً من الفضة لنفقته ، أفما يحسن لديك أن تعطيه سؤاله ؟ ! أليس هو مخلوقاً من الله مثلك ؟ !

أنظر كيف يشرق سيدك يسوع المسيح شمسه عليه ، وأنت لاتجعله أهلا للغذاء يوماً واحداً ؟ ! .....

ياهذا ، إن رأيت حماراً ساقطاً ، فإنك تقيمه دون أن تفحص عن صاحبه ..... فكم بالحرى يجب أن تعتنى بالإنسان دون أن نفحص عنه : من أى مكان هو ؟ وماهو نسبه ؟ بل يكفيك أنه مخلوق مثلك !

+ إذا رأينا واحداً من الشعب قد وقع فى ضائقة فلنساعده ، ولايكون حرصنا كله منصرفا نحو مساعدة سكان الجبال وقاطنيها ومدبرى الأديرة والقفار .

+ الصدقة المنصرفة نحو الخطاة والمجرمين هى الرحمة بعينها ، لأن الرحمة هى أن ترحم المذنبين لا المستقيمى السبل .

القديس يوحنا ذهبى الفم

+ الصدقة تُعطى لكن بحكمة للمستحقين لكى ننال مكافأة من العلى .

ولكن الويل للذين يأخذون مظهراً مخادعاً ، والذين يقدرون على مساعدة أنفسهم ويطلبون من الغير ، لأن من كان لديه ويتظاهر بمظهر مخادع أو يطلب بسبب الكسل ، فإنه يُدان .

القديس اكليمنضس الأسكندرى(١٣)

خامساً لاتعتذر بضعف إحتياجك

+ لايوجُه الحديث عن الصدقة نحو الأغنياء والعظماء فحسب ، بل والفقراء والمساكين أيضاً ، لأن الصدقة فيها نفع وخلاص للجميع .

ولو كان أحدكم فى ضيق مادى ، أو حتى يعتمد فى معيشته على التسول ، فإننى أحدثه عن الصدقة ، إذ لايوجد أحد محتاج وفقير حتى لايملك من حطام الدنيا مايساوى فلسين مثل الأرملة المسكينة ذات الفلسين .

+ من يعطى قليلاً من القليل الذى لديه أفضل ممن يعطى الكثير من الكثير ، إذ يكون كالأرملة ، فالصدقة لاتُقدر بكمية العطاء ، بل بارادة المعطى وقوته .... لأن الله يلتفت للقصد وعليه يجزل العطاء .

القديس يوحنا ذهبى الفم

+ إننا نرتكب معاصى كثيرة يومياً ، لذا نحتاج إلى أظهار رحمة عظيمة . لكن الكثرة والقلة لاتُقاس بكمية العطاء بل بكمية وسائل العاطى .... فإن لم يكن لك شيء بالمرة ، ولكن لك نفس متحننة فإنك حتى عن هذا تنال مكافأة .

لهذا يأمرنا الرسول « بكاء مع الباكين » رو ١٢ : ٨ ، وينصحنا أن نكون مربوطين مع المسجونين (عب ١٢ : ٣) .

القديس يوحنا ذهبى الفم(١٤)

+ لايتحقق العطاء بالمال وحده بل وبالأعمال كأن يسند إنسان آخر أو يعاونه بالعمل ، فإن الخدمة التى يقدمها بالعمل كثيراً ماتكون أفضل من العطاء النقدى .

قدم كل أنواع العطاء ! .....

لاتقل أننى لست صاحب مال ، بل أنظر إلى ما تقدمه كمن يقدم ذهباً .

القديس يوحنا ذهبى الفم(١٥)

لاتعتذر بكثرة أولادك

+ قد تقول « لدى أولاد كثيرون » .... لكن كثرة أولادك يجعلك تقدم صدقات أكثر ، لأنك أب لورثين كثيرين .

لديك كثيرون تطلب من الله لأجلهم ، لأجل غفران خطاياهم وتنقية ضمائرهم وتحرير أنفسهم .... هكذا قدم أيوب ذبائح كثيرة من أجل أولاده ..... وقد شهد الكتاب المقدس بذلك قائلا أن أيوب أرسل فقدسهم وبكر فى الغد وأصعد محرقات على عددهم كلهم (أى ١ : ٥)

فإن كنت بالحق تحب أولادك ، إن كنت تظهر لهم كمال حلاوة الحب الأبوى ، ينبغى أن يزداد تقديم الصدقات عنهم لأجل إرتباطهم بالرب .

الشهيد كبريانوس(١٦)

+ قد يُقال : وماذا أفعل نحو أطفالى ؟ ..... (من جهة الميراث) .

لتزد بالحرى واحداً على أولادك ، إعطِ للمسيح مكاناً بين أبنائك .

ليضاف ربك إلى عائلتك . ليضاف خالقك مع ذريتك . ليضاف يسوع أخوك فى عداد أولادك . لأنه بالرغم من وجود فارق عظيم بينه وبينهم لكنه تنازل ليكون أخاً .

فبالرغم من كونه إبن الله الوحيد ، فقد وهب أن يكون له من يشاركه فى الميراث .

أنظر أى سخاء أعطى ؟ ! أفما تعطيه فيما هو محتاج ؟ إن كان لديك ابنان فأحسبه ثالثاً ، لديك ثلاثة فأحسبه رابعاً ، **فلتعطه نصيباً حيث تحسبه كنصيب إبن .**

القديس أغسطينوس

لاتخف على مستقبلهم

+ أيها الأحباء الأعزاء ، ليته لايمتنع المسيحى عن صنع الخير والبر متخيلا أنه يمكنه أن يعفى من ذلك لأجل فائدة أولاده .... إذ علمنا وحذرنا قائلا : « من أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى ، ومن أحب إبناً أو أبنة أكثر منى فلا يستحقنى » مت ١٠ : ٣٧ ..... لأنه إن أحببنا الرب من كل القلب ينبغى ألا نفضل عنه حتى الآباء أو الابناء . وهذا ماسجله يوحنا فى رسالته بأن غير الراغبين فى إعطاء الفقير ليس فيهم حب الله « وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً واغلق أحشاؤه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه ؟ ! » ١ يو ٣ : ١٧ . وإن كان بالصدقات التى نقدمها للفقراء نقرض الرب ، وعندما نعطى الأصاغر نقدم للمسيح ، فإنه لايوجد موضع لتفضيل الأمور الزمنية على السمائية والأشياء البشرية عن الإلهية .

هكذا فإن الأرملة التى ذكرت فى سفر الملوك الثالث عندما امتنع المطر وحدثت المجاعة وقد أستنفذت كل مالديها ، كانت عازمة أن تعمل بالدقيق والزيت المتبقى كعكة على القش ، وبعد ذلك تموت مع أطفالها ، فجاءها إيليا وسألها أن تقدم له هو أولا مايأكله ، ومايتبقى بعد ذلك تأكل منه هى وأطفالها . لم تتردد فى طاعته ، ولافضلت أولادها عن إيليا أثناء جوعها وفقرها . لقد صنعت فى نظر الله أمراً يبهجه ، لذلك أستجاب الله بسرعة وبسخاء . فهى لم تقدم كمية عظيمة ، لكنها قدمت الكثير من القليل ، قدمت طعاماً له قبل أن تقدمه لأولادها الجائعين .

إنها لم تحرم أولادها مما قدمته لإيليا ، بل بالحرى فضلت ماقدمته عطفاً وشفقة عن أولادها .... رغم أنها لم تكن قد سمعت حتى تلك اللحظة عن المسيح ولا وصاياه ولم تكن قد تخلصت بصليبه وآلامه .... من هذا يظهر ثقل خطايا الذين فى

الكنيسة وقد فضلوا أنفسهم وأولادهم عن المسيح ، محتفظين بثروتهم دون أن يساهموا بنصيب وافر لفقر المحتاجين .

+ ينبغى عليك أن تجعل الله الأبدى غير المتغير أباً لأولادك الروحيين . سلمه ثروتك التى تريد أن تدخرها لهم . اجعله حارساً عليهم وضامناً ومحافظاً عليهم بقدرته الإلهية ضد مصائب الزمن .... بذلك تمد ورثتك الأعزاء بتطويبات المستقبل . هذا ماتمليه عليك العاطفة الأبوية لأجل الإعتناء بمستقبل وارثيك ، معتمداً على قول الكتاب : « كنت فتى والآن شخت ولم أجد صديقاً تخلى عنه ولاذرية تلتمس خبزاً » مز ٣٧ : ٢٥ . وقوله « الصديق يسلك بكماله ، طوبى لبنيه بعده » أم ٢٠ : ٧ .

الشهيد كبريانوس(١٧)

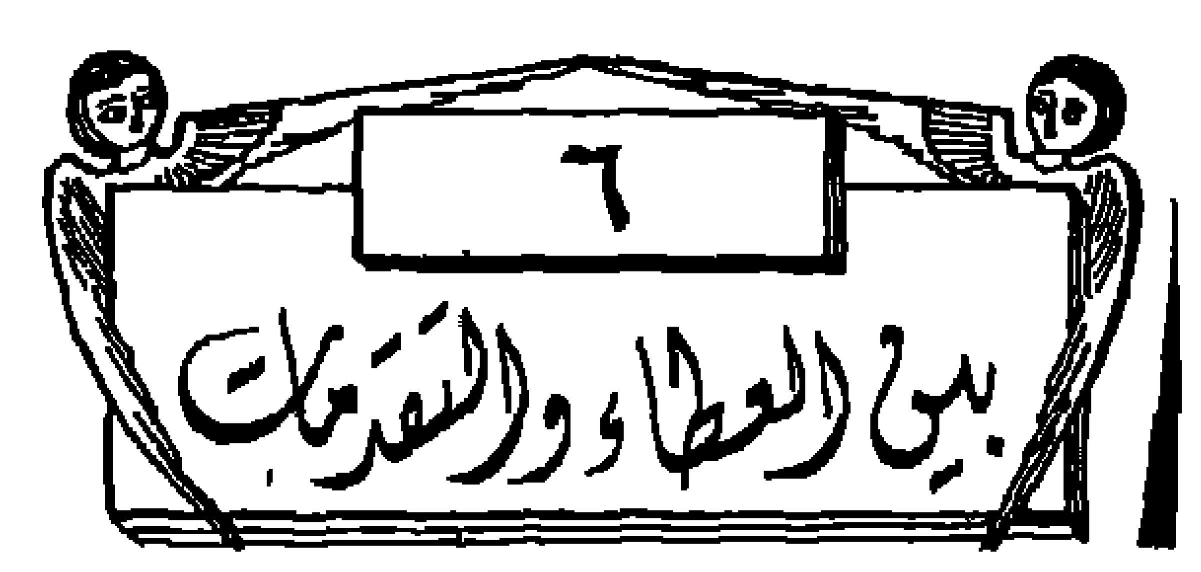
+ لاتزال محبة المال تنصحه بأن يأخذ مشورة لأجل أولاده ، لكننا ألا نجد رجالا كبارا فى السن محبين للمال رغم عدم وجود أولاد لهم ؟ !

+ ألم تسمعوا « إذا وفرت ثروتكم فلاتميلوا إليها قلوبكم » مز ٦١ : ١٠ ؟ ! هاأنتم تنالون أعمالا مثمرة لكنكم تقلقون باطلًا ، وإذ تسألون : كيف نقلق باطلا ونحن نملأ خزائننا ، وأسوارنا بالكاد تحفظ ماقد نلناه ؟ ! « انكم تذخرون ذخائر ولاتدرون من يضمها » مز ٣٩ : ٦ . أما إن كنتم تعرفون لمن تجمعون هذه الذخائر فأتوسل إليكم أن تخبروننى ؟ .... إنها لأطفالنا . هل تتجاسرون بإن تقولوا هكذا عن هؤلاء الذين يقرب موتهم ؟ تجيبون بأن الحب الطبيعى يوجب على الأب أن يجمع لأبنائه .

إنه أكثر بطلاناً أن يجمع الذين قرب موتهم للذين سيموتون عن قريب أيضا . فإن كنتم تجمعون لأنفسكم فلماذا تجمعون مع أنكم ستتركون هذه جميعا عند موتكم ؟ ! وان كنتم تجمعونها لأطفالكم ، فإنهم سيخلفونكم ولكن لايمكثون كثيراً . لست أتكلم عن أخلاق أولادكم فربما بالفجور يبذرون ماجمع بالطمع .... أو بكد عظيم ، لكننى سأتغاضى عن هذا . إنهم سيكونون صالحين لا فاسقين ... سيزيدون على

ماتتركوه لهم ولايبذروا ماادخرتموه . انهم يتساوون معكم فى الباطل إن قلدوكم فى هذا أنتم آباؤهم . سأقول لهم ماقلته لكم .... « يذخرون ذخائر ولا يدرون لمن يضمنوها » فإذا لم تعرفوا لمن تجمعونها هكذا هم أيضا لايعرفون .

القديس أغسطينوس



تكمن قوة العطاء فى كونه حب عملى لله ، كذلك التقدمات من بخور وأوانى المذبح والكتب والستور .... الخ ، فإن قيمتها ليست فى ماديتها بل فى الحب الدافع لتقديمها . لذلك عندما سكبت المرأة الخاطئة الطيب على قدّمى السيد فإنه بالرغم من أن يهوذا إشتم فيه رائحة الإتلاف وأنه كان الأجدر أن يقدم ثمنه للفقراء ، لكن ربنا يسوع إشتم فيه رائحة حبها له . هذا لايعنى عدم أهتمام الرب بالفقراء ، بل على العكس كان يطلب حبنا لإخوتنا قبل تقديم التقدمة . فالكنيسة عروس المسيح ماتقبل تقدمة إنسان غير مصطلح مع أخيه ، أو إنسان ظالم أو إنسان قاسى لايرحم المتألمين . فهى لاتسر بالأوانى الذهبية والفضية التى يقدم فيها جسد الرب ودمه ..... بينما إخوته ، بل جسده هو ، يموت جوعاً ! !

+ لاتظن أنه يكفينا .... أن نمتنع عن إعانة الأرامل والأيتام ونقدم إلى المائدة المقدسة كأساً ذهبية مرصعة بالأحجار فإنك إن اردت أن تكرم الذبيحة ، فقدم أولا النفس التى من أجلها ذُبحت الذبيحة .....

لاتفكر فقط كيف تقدم أوانى ذهبية ، بل كيف تفعل هذا مع النفس التى هى أثمن من الذهب والبعيدة عن الزيف ، فالكنيسة ليست متجراً لصياغة الذهب ولاحانوتاً لصك الفضة .....

لم تكن المائدة فى وقت المسيح من فضة ، ولا الكأس التى ناول التلاميذ منها ذهباً ، لكنها كانت نفيسة ومرعبة لأنها مملوّة روحاً !

أتريد أن تكرّم جسد يسوع ، لاتتغافل عنه وهو عريان . فلاتكرمه هنا فى الكنيسة بثياب ديباج وفى الخارج تضرب عنه صفحاً ، وهو يموت من البرد والعرى . لأن الذى قال : « هذا هو جسدى » مثبتا فى قوله بالفعل ، هو نفسه قال : « كنت جائعاً ولم تطعمونى ...... ومادمتم لم تعملوا هذا بأحد هؤلاء الأصاغر ، فبى لم تعملوا » .

إنه غير محتاج إلى كأس ذهبية ، بل إلى نفس نقية ! !

لست أقول هذا مانعاً القيام بمثل هذا العمل (تقديم الأوانى الذهبية) ، إنما سائلا الرحمة مع تقديم الأوانى أو قبل تقديمها ..... لأن التقدمة هنا قد تكون على سبيل الإفتخار والكبرياء ، أما تلك فهى رحمة للبشر وحب لهم . أى منفعة أن تكون المائدة مملوءة أوانٍ ذهبية وهو يموت جوعا ؟ ! إشبعه أولا وبعد ذلك زيّن المائدة . أتصنع كأساً ذهبية ولاتقدم كأس ماء بارد ؟ !

ليت شعرى ، لو رأيته لابساً ثياباً رثة والبرد قارص . فلم تعطه ثوباً بل أقمت عمداً من فضة وذهب ، قائلا أنك تقيم هذه العمد إكراماً له ، أما تكون تقدمتك هذه لهواً وعبثاً وسخرية منك به ، ويكون هذا العمل سباً له ؟ ! كذلك إن طاف السيد المسيح تائهاً غريبا وهو محتاج إلى سقف ، فتركت ضيافته وزينت الأرض والحوائط . ورؤوس العمد وعلقت القناديل بسلاسل فضية ، ولم تشأ أن تبصره وهو فى السجن مقيداً .... فما المنفعة ؟

لست بذلك أمنع تقديم هذه بل أريد أن نصنع ذاك قبل هذه ، لأنه لايشكى قط أنه لم تُصنع له هذه .... فهذه الأوانى قد يأخذها أحد الملوك الكفرة أو السلاطين أو اللصوص ، أما ماتصنعه مع الأخ الجائع والغريب والعريان فلايستطيع حتى الشيطان نفسه أن يسلبه .

+ فإن قلت إننى اعتنيت بعمل كؤوس الفضة وموائد الذهب وستور الديباج برسم الأسرار المقدسة ، أقول لك إسمع قوله تعالى : « إنى أريد رحمة لاذبيحة » مت ٩ : ١٣ . وقوله (للأشرار) : « السماء كرسى والأرض موطىء لقدمى . أى بيت تبنون لى يقول الرب » اش ٦٦ : ١ . واعلم أن الله يهتم بخلاص النفوس أفضل من إهتمامه بالتحف النفيسة ....

(هنا لايمنع القديس الأهتمام ببيت الله ولايقلل من قيمة التقدمات ، لكن ينبغى أن يرافق هذا حبنا لإخوتنا ، لئلا تنشغل الكنيسة بالأوانى الفاخرة والمبانى الشاهقة عن الاهتمام بالرعاية الحقيقية للفقراء مادياً وروحياً)

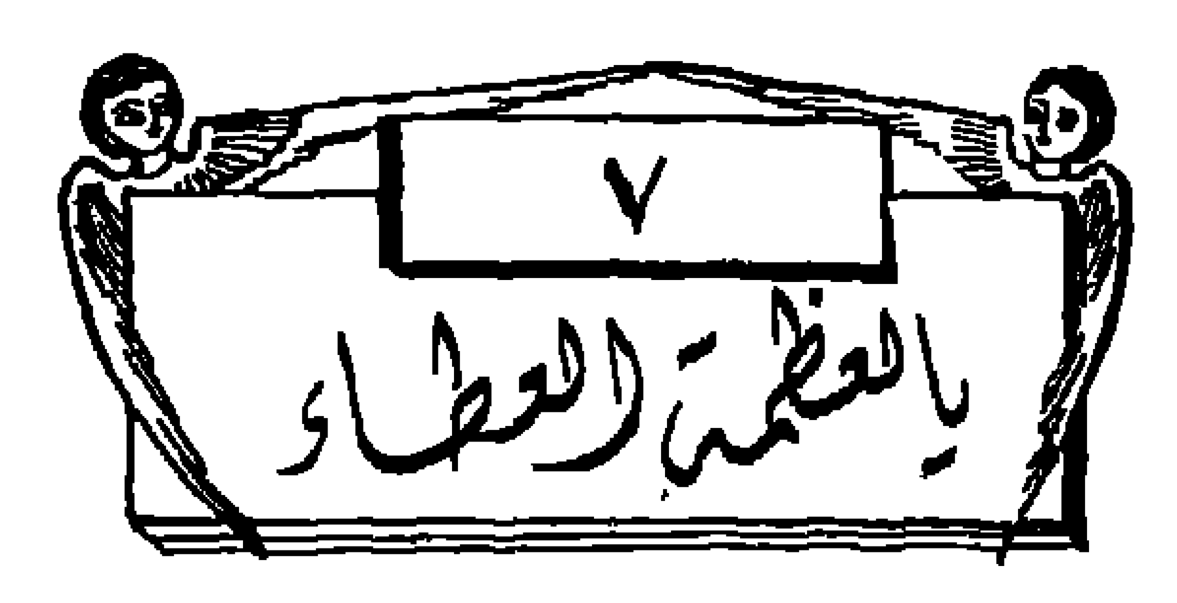
القديس يوحنا ذهبى الفم

تحذير

+ إذا رأيت قوما قد صنعوا أوان فاخرة للقدس وقربوها أو زينة للكنيسة وُضعت على الحوائط أو الأرض فلا تأمر أن تباع .... لئلا تخمد نشاطهم ، أما إن سألك إنسان قبل أن يفعل فأمره أن يعطى المساكين .

القديس يوحنا ذهبى الفم

+ + +



+ الصدقة صناعة حانوتها فى السماء ، ومعلمها ليس إنسانا بل إلهاً .

الصدقة صناعة من أفضل الصناعات ، فإن كان من خصائص الصناعة أنها تؤدى إلى نفع ، فأى نفع أعظم مما تؤديه الصدقة ؟ !

الصدقة لاتصنع لنا أحذية ولاتنسج ثياباً ولا تبنى منازل ترابية لكنها تفيدنا بالحياة الأبدية ، وتخطف من يد الموت ، وتجعل فاعليها فى كلى الحياتين زاهدين ، تبنى المنازل السمائية ، والمظال الدهرية الخالدة ، إنها لاتترك مصابيحها تنطفىء ، ولا تظهرنا فى العرس بثياب قذرة ، بل تغسلها وتصيّرها أنقى من الثلج ... لاتتركنا نسقط حيثما سقط الغنى ، ولا نسمع الأقوال المرعبة ، بل ترشدنا إلى حضن ابراهيم .

إن كل صناعة عالمية تنتج نفعاً (فضيلة) واحدا ، فالزراعة تطعم ، والنسيج يكسو .... لابل إنها وحدها لاتستطيع أن تنتج هذا النفع الواحد ..... فالزراعة مالم تساعدها صناعة الحديد لإنتاج الرفش والمنجل والفأس .... وتساعدها النجارة حيث تهىء لها النير والعجلة .... فما تستطيع أن تنتج هذا النفع الواحد كذلك صناعة النسيج إذا أنتجت شيئا إنما تدعو صناعات كثيرة لمساعدتها .... أما الصدقة فما تحتاج إلى شىء آخر ، إنما تحتاج إلى نية لاغير . فإن قلت أنها تحتاج إلى أموال ومنازل وثياب وأحذية ، فإقرأ مايقوله السيد المسيح عن الأرملة .

إن العامل بهذه الصناعة أفضل من أن يكون ملكاً يلبس تاجاً ....

الخطباء (المحامين) يقفون أمام الناس يدافعون عن المظلومين ، وربما عن الظالمين ، أما الصدقة فتقف أمام منبر السيد المسيح ، وما تقتصر على الدفاع عن بنفسها ، بل تجعل الحاكم نفسه يدافع عن المحكوم عليه ، فتنجح القضية ولو كان

المحكوم عليه قد أخطأ خطايا جمة ، فإنه يكلله ويرفع اسمه .... لأنه يقول : إعطوا صدقة وكل شيء يكون لكم نقياً وطاهراً . ١

+ **أما تحسبه مجداً عظيماً أن تمسك الكأس التى يزمع المسيح أن يشربها ؟ ! .... تأمل من هو الذى تسقيه واجزع .... إنك تناول السيد المسيح بيدك ليس لحماً بل خبزاً ، وليس دماً لكن كأس ماء بارد .**

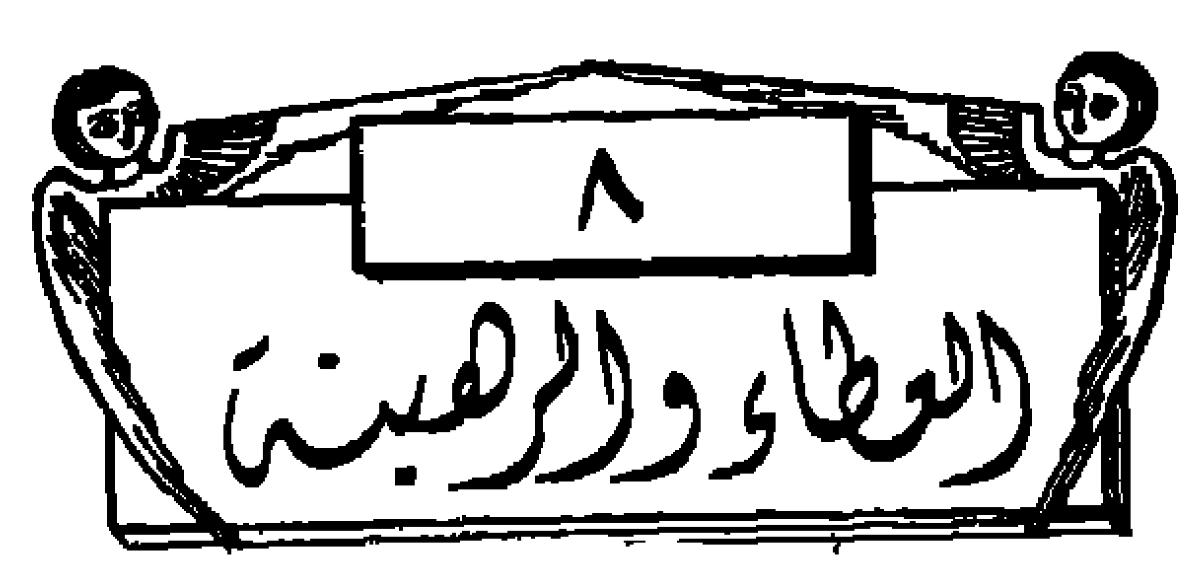
+ أعطوا صدقة ، وسيكون لكم كل شيء ، فإنها أعظم من الذبيحة ، لأنه يقول : « أريد رحمة لاذبيحة » . إنها تفتح السموات ، لأنه يقول : « إن صلواتك وصدقاتك قد أرتفعت قدام الله . فهى أكثر ضرورة من البتولية ، لأنه بدونها خرجت العذارى الجاهلات من الخدر ، بينما دخلت الأخريات بسعة الصدر .

القديس يوحنا ذهبى الفم

+ ياله من جزاء عظيم أن يطعموا السيد المسيح عندما يكون جائعاً ، ويالها من جريمة كبرى أن يزدرى بالمسيح متى كان جائعا ! !

القديس أغسطينوس

+ + +



هل للراهب أن يتصدق ؟

إننى أتجاسر فأتكلم عن الرهبنة ، ليعطنى الرب فهماً وحكمة لأتكلم من أختبارات آبائى .

الرهبنة عشق لربنا يسوع ..... فهى عطاء ، لأنها تقديم القلب لله وازدراء بالعالم لأجل يسوع . لذلك فالراهب بهذا المفهوم يحب كل الناس ، فيتصدق ويرحم إخوته ولو بالنية ، على أن يترجم هذه النية عملياً فى صلواته واعماله قدر مايهبه الرب من أمكانيات ، لأن الراهب الذى مات عن العالم لايملك حتى الكتاب المقدس الذى يقرأ فيه .

+ ينبغى ألا يعمل أحد (من الرهبان) من أجل حاجته فقط ، بل ليعطى المحتاجين أيضاً ، فالمجتهد فى عمل النهار والليل ليوجد مايعطى للمحتاجين هو رجل كامل . والذى يقول إن عمل يديه يكفى حياته ، فعليه خطر القول : « ملعون من يتوكل على إنسان » أر ١٧ : ٥ .

القديس باسيليوس الكبير

+ أحرى بك أن تعمل بيديك ليصادف المسكين منك خبزة ، لأن البطالة موت وسقوط للنفس .

القديس الأنبا موسى الأسود

+ إعمل لكيما تعطى المساكين من عرق جبينك ، لأن البطالة موت وهلاك .

القديس الأنبا أشعياء

+ قيل أنه حضر إلى الأب لوقيوس رهبان من أولئك الذين يدعون « المصلين » فسألهم عن عمل ايديهم ، فقالوا له : نحن لانهتم بعمل اليدين ، إنما نهتم بالصلاة الدائمة كقول الرسول . فقال لهم الأب لوقيوس : أما تأكلون

وتنامون ؟ قالوا نعم . فقال لهم : فإذا ماجلستم تأكلون أو نمتم فمن يصلى عنكم ؟ » فلم يكن لهم مايجيبون به . فقال لهم : ..... إننى أجلس بعون الله وأبل خوصاً وأضفر الضفيرة وأقول : « ارحمنى ياالله كعظيم رحمتك وككثرة رأفتك أمح إثمى » أفما يعتبر ذلك صلاة ؟ ! ....

وأعطى لمن على الباب فلسين (من ثمن عمل يدّى) ... **فيصبح آخذ الفلسين مصلياً عنى فى وقت أكلى ونومى** وبنعمة الله تكمل لى الصلاة الدائمة .

+ سألوا الأنبا أنطونيوس : « إن كان جيداً أن يكتفى الراهب بنفسه ، إذا فلا هو يخدم أحداً ولايدع أحداً يخدمه كذلك ؟ » فقال « إن الرب علمنا أن نخدم إخوتنا كما يخدم العبيد سادتهم ، وكما شدّ هو وسطه وغسل أرجل التلاميذ ، فلانمتنع عن أن نخدم ، لأن بطرس لما أمتنع عن غسل رجليه قال له السيد « إن لم أغسلك فلن يكون لك نصيب معى » .

+ كان القديس تادرس المصرى قد أقتنى لنفسه ثلاثة أناجيل ثمينة ، فمضى إلى الأب مقاريوس وأخبره بأن لديه كتباً جيدة . وسأله هل يبقيها لمنفعته ومنفعة الأخوة ، أم يبيعها ويدفع ثمنها إلى المساكين ؟ فقال له الآب « أما العمل فجيد ، لكن ترك المقتنيات أفضل منه ، فمضى وباع الكتب ووزع ثمنها على المساكين .

+ قال أحد الآباء : « اهتم بعمل يديك ومارسه إن إمكنك ليلا ونهارا ، لكى لاتثقل على أحد ، وحتى يكون لك ماتعطى المسكين ، حسب مايأمر به الرسول ، ولكيما تصرع شيطان الضجر ، وتزيل عن نفسك بقية الشهوات ، لأن الشيطان الضجر منكب على البطالة ، وهو فى الشهوات كامن » .

القديس بلاديوس

+ بلغنى أن إنساناً كسلاناً أخذ من خزانته الإنجيل من الساعة السابعة إلى غروب الشمس ولم يستطع أن يفتحه البتة ، وكأنه مربوطاً بالرصاص ، أما أنطونيوس فإنه لم يفعل أمامنا هكذا ، بل كان يعمل عملا يدويا كما أراه الملاك ... حتى قال : يجب أن تكون أعمال يديك إلهية لا أرضية ، ولتكن

أثمانها مشاعاً بينك وبين المساكين

القديس نيلس

واظب على عمل يديك ماأستطعت وذلك لتعمل منه صدقة لأنه مكتوب « إن الرحمة تطهر الخطايا » .

القديس الأنبا بيمين

+ قال أحد الإخوة : طلبت من الله أن يعطينى عملًا بدلا من النعمة ، لكى أعول جميع المنكوبين ، لأنى بذلك أفرح .

القديس مار أفرام

+ إنه لأمر فظيع وقبيح بنا أن يتعب الشعب (العلمانيون) ويعملون ويعولون أولاداً ونساء ، ويدفعون خراجاً وضريبة ، ويحسنون إلى فقراء ومحتاجين حسب طاقاتهم ، ويحملون إلى بيت الله باكورات وقرابين ، أما نحن فلا نقتنى من أتعابنا حتى ولاحاجاتنا اللازمة لنا ، بل نحبس أيدينا داخل ثيابنا ، ونستجدى أتعاب غيرنا ، ولانصغى إلى الرسول القائل : « إن هاتين اليدين قد خدمتا حاجاتى وحاجات الذين معى » .... ولذلك كان الآباء باسقيط مصر لايسمحون للرهبان لاسيما الشبان منهم ، بأن يتفرغوا عن العمل ، لاصيفاً ولاشتاءً حتى ولا لحظة من الزمان ، لأن الذى يمارس العمل يتخلص من الضجر ويتحصل على مايقيت به نفسه ويسعف منه المحتاجين .

قاسينوس الرومى

+ إذا ماطفتَ صحراء مصر تجدها أجمل جنات العالم ، وإنك لترى فيها أجواقاً كثيرة من الملائكة بشكل بشرى ... ترى طغيان الشيطان قد كُسرت شوكته ، والمسيح يتجلى بكل مجده .... إن السماء بأجواقها المتنوعة ليست أجمل من صحراء مصر ، وهى على هذا الشكل ، إذ ترينا مناسك الرهبان فى كل مكان .

زهدوا بالدنيا وصلبوا ذواتهم للعالم ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، فشغلوا جزءا كبيراً من أوقاتهم فى أعمال يدوية شاقة لأعانة الفقراء . فأذ كانوا يصومون ويسهرون لم ينبذوا العمل . إذ كانوا يحيون الليالى فى ترتيل التسابيح الإلهية ، وكانوا يقضون النهار

فى الصلاة بينما كانت أيديهم نعمل للبر مقتدين بعيرة القديس بولس ، فكانوا يقولون فى أنفسهم : إذا كان هذا الرحل الذى اسندت إليه العناية بالمسكونة لم يأنف من أن يمارس مهنة ويعمل لتعزية الفقراء واسعافهم .... أفلا يجدر بنا ، نحن الدين نعيش فى الوحدة بمعزل عن ضوضاء المدن وضجيجها ، أن نشغل أوقات الفراغ عاكفين على الأعمال الروحية ؟ !

لنخجل كلنا أيها الفقراء والأغنياء ، إذ ننظر إلى أولئك النساك الذين لم يملكوا شيئا سوى أيديهم وحسدهم ، وهذا الجسد إنما كان وسيلة يتوسلون بها لإنشاء مورد لاعانة السائلين .

القديس يوحنا ذهبى الفم

صدقة خارج الدير

لما كانت الأديرة الباخومية تقام بجوار القرى ، لذلك يسهل على الرهبان أن يتصدقوا ، وقد ضرب لنا القديس باخوميوس مثلا عالياً فى ذلك ، كذلك القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين .

فكانت أبواب الأديرة تفتح يوم السبت لكل الشعب المحيط بالدير ، فيجدون آباء منهم من تخصص فى خدمتهم مادياً وصحياً وروحياً . ويذكر لنا التاريخ كيف كانت تهتم الأديرة بالمدن والقرى التى هاجمها البربر ، فكان الرهبان يقدمون لهم الطعام ويخدمونهم ويعالجون المصابين منهم .

صدقة داخل الدير

إن كان لايليق بالراهب الذى مات عن العالم أن ينزل إليه مرة أخرى ولو بحجة العطاء ، فإن الأديرة نفسها تعتبر مجالا خصباً للصدقة وبخاصة عندما كانت تضم الآلاف من الرهبان إذ قدر بلاديوس عدد تلاميذ القديس باخوميوس ٣٠٠٠ راهباً فى أثناء حياته و ٧٠٠٠ راهباً سنة ٤٢٠ م وهى السنة التى أتم فيها الكتاب « بستان الرهبان » وقد ذكر جيروم فى القرن الخامس أن الرهبان الباخوميين كانوا خمسين ألف راهب (مبالغ فيه إلى حد ما) . وفى داخل الأديرة المرضى والشيوخ .... ويستطيع من يرغب فى الصدقة خفية أن ينفذ .

+ قيل عن القديس مقاريوس المتوسط أن انسانا أتاه بعنقود مبكر ، فلما رآه سبح الله وأمر أن يرسلوه إلى أخ كان عليلًا ، فلما رآه الأخ فرح ، وهّم أن يأخذ منه حبة واحدة ليأكلها ، لكنه قمع شهوته ، ولم يأخذ منه شيئا وقال : « خذوه لفلان الأخ لأنه مريض أكثر منى » . فلما أخذوا العنقود إليه رآه وفرح ، لكنه قمع شهوته ولم يأخذ منه شيئا ، وهكذا طافوا به على جماعة الإخوة فكان كل من أخذوه إليه يعتقد أن غيره لم يره بعد ، وهكذا لم يأخذوا منه شيئاً ، وبعد ماانتهوا من مطافهم على إخوة كثيرين أنفذوه إلى الأب مقاريوس مرة ثانية ! .

بستان الرهبان

هل يجوز للراهب أن يتصدق على عائلته

الله الذى أمرنا بمحبة القريب كنفسنا أى من كل القلب ، أمرنا أن نعطى اهتماما خاصاً بالاقرباء حسب الجسد ، فطالبنا « أكرم أباك وأمك » . لذلك وبخ اليهود الذين أهملوا والديهم لأجل تقديم القربان .

وهو بنفسه خالق كل البشر أعطى اهتماماً خاصاً بأمه ، فكان خاضعاً لها ، وسمع لطلبتها فى عرس قانا الجليل ، بل وهو فى أحلك ساعات الألم على الصليب لم ينسى أمه ، بل سلمها ليوحنا الحبيب . وعندما أرسل التلاميذ طالبهم التبشير أولًا فى أورشليم ثم اليهودية فالسامرة فالعالم كله .

وبولس رسول يسوع المسيح أعطى أهتماماً خاصاً لأقربائه حسب الجسد ، رغم دعوته ليكون رسولًا للأمم . وعندما كتب عن شروط الأسقفية طالبنا أن يكون الأسقف مهتماً ببيته ، لأن من لايهتم ببيته كيف يستطيع أن يهتم ببقية اخوته ؟ !

فيخطىء كل إنسان يحسب أن السمو الروحى يستدعى الإهمال فى حقوق والديه واقاربه حسب الجسد .

لكن رجال الإكليروس والرهبان لهم وضع خاص ، فيخشى من رجال الأكليروس أنه فى إعطائهم لأقاربهم تتغلب عليهم محبة المال والتمييز بين أولاده الروحيين ، فيعطى بسخاء لأقاربه حسب الجسد على حساب أولاده الآخرين .

أما الراهب فقد مات عن العالم كلية ، لايعرف له أباً ولا أماً ولا إخوة ولا أقارب جسديين ، بل يرى يسوع أباه والكنيسة أمه وكل أخوته المنتقلين والمجاهدين إخوة بلا تمييز .

لقد صلب الراهب العاطفة البشرية ، فيحب أقاربه بنفس حبه لكل الناس ، من كل نفسه .

تقول : ولماذا لايتصدق على أقاربه إن أحتاجوا دون أن ينظر إليهم كأقرباء جسديين ؟ أقول لك بأنه إن صنع هذا فليتصدق أولاً على كل المحتاجين حتى لايبقى إنسان أفقر من قريبه هذا وعندئذ ليتصدق على إخوته ..... حتى هذا يخشى منه أن يفك رباطات العاطفة البشرية المصلوبة .

+ أتسألنى أيها الأخ بخصوص أخيك ؟ إنى لاأعرف لك أخا غير المسيح ، فإن كان لك إخوة فأعمل معهم ماشئت ، (فأنا ليس عندى كلام) ، لأنه إن كان الرب نفسه قال : « من هى أمى ومن هم إخوتى ؟ ! « فماذا أقول أنا لك ؟ ! هل تطرح وصية الرب وترتبط بأخيك حتى ولو كان مفتقراً إلى ثوب ، وإن كنت قد ذكرت أخاك ، فلم لم تتذكر المساكين الآخرين ، بل لم تتذكر القائل عن نفسه : « كنت عرياناً ولم تكسونى ؟ ! » . لكن الشياطين تلاعبك وتذكرك أيضا بأولئك الذين كنت قد جحدتهم لأجل المسيح ، لكيما تظهر مخالفاً لأوامره .

الآب برصنوفيوس

+ قال أحد الآباء : إن جحدت أنسباءك بالجسد مع أمور الجسد لأجل الله ، فلا تنخدع بالرحمة على والدتك أو إبنك أو أخيك أو أحد أنسبائك ، لأنك قد تخليت عن هذه كلها . أذكر ساعة موتك ، فلن ينفعك أحد منهم .

+ كذلك قيل : سأل أحد الأخوة شيخاً وقال له : « إن اختى مسكينة فهل أعطيها صدقة ، إذ ليس لها نظير فى المساكين ؟ » .

قال له شيخ : « لا ... لأن الدم يجذبك إلى ذلك أكثر من وصية المسيح » .

+ قيل كذلك أن أحد الأخوة كانت له والدة تقية ، فلما حدثت مجاعة كبيرة ،

أخذ قليلًا من الخبز ومضى اليها ، وبينما كان يسير جاء إليه صوت قائلا : « أتهتم أنت بوالدتك،أم أنا المهتم بها ؟ » ، فميز الأخ قوة الصوت ، وخرّ على الأرض بوجهه قائلًا : « أنت يارب هو المهتم بنا » . ونهض راجعاً إلى قلايته . وفى اليوم الثالث جاءت إليه والدته وقالت له : « إن فلاناً الراهب أعطانى قليلًا من الحنطة ، خذها واصنع لنا أرغفة لنأكل » فلما سمع الأخ بذلك ، مجد الله وقوى رجاؤه .

+ وراهب كان فاضلًا جداً لدرجة أنه كان يخرج الشياطين بصلاته ، وكانت له أم عجوز مسكينة ، فحدثت مجاعة عظيمة ، فأخذ الراهب خبزاً ومضى ليتفقد والدته ، وبعد أن رجع إلى قلايته ، أُحضر أمامه مجنون ، فقام وصلى عليه كعادته ، فأخذ الشيطان يهزأ به قائلًا « ماما ، ماما » .

+ قيل أيضا : أراد والى البلاد فى يوم من الأيام أن يتشاهد أنبا بيمين ، ولكن الشيخ لم يشأ ذلك ، فقبض الوالى على ابن أخته بهذه الحجة وحبسه ، كأنه قد عمل عملا منكراً ، وقال : « إن جاء الشيخ وسألنى من أجله سوف أطلقه ، فجاءت أخته باكية على الباب فلم يجيبها بجواب البته . فكررت عليه قائلة : « ياقاسى القلب وياحديدى الأحشاء . ارحمنى فإنه وحيدى وليس لى سواه » . فقال لها بيمين « ماولدت أولاداً » ، فلما سمع الوالى قال « وإن سألنى بالمكاتبة فإنى أطلقه » . فأجاب الشيخ قائلًا : « إفحصه على مايأمر به الشرع ، فإن كان مستحقاً القتل فليقتل ، وإلا فافعل ماتريدَ » .

+ أخبر أحد الرهبان بأن اباه قد مات ، فأجاب الذى أتاه بالخبر قائلًا « كف عن التجديف ، فإن أبى لايموت » .

القديس بلاديوس

احذر الانشغال بالصدقة فى غير أوانها

يفشل العدو كثيراً فى بث الأفكار الشريرة فينا كرهبان أو كهنة أو من الشعب ، وعندئذ يحارب بسلاح أخطر وهو أن يشغلنا بأمور حسنة لكن ليس فى مجالها ، فيذهب الراهب بالصدقة ورحمة الآخرين بل والتبشير للآخرين حتى يسقطه

فى الملل والضجر ويشغله عن مناجاة ربنا يسوع والتفكير فيه . وقد حارب هذا الفكر القديس مكاريوس الكبير خمس سنوات لكى يترك البرية ويبشر فى روما .

والكاهن يحاربه العدو فى القداس أو فى الصلاة بإثارة مشاكل عائلية أو إفتقاد إخوة ساقطين ، ليس إلا لكى يتعطل عن الصلاة وينشغل بهذه الأمور عن ربنا يسوع . فإذا ماذهب الكاهن شغله أيضا هناك بأمور أخرى ..... وهكذا يعيش الكاهن فى دوامة العمل مشغولًا بالخدمة ومشاكلها ، لابشخص ربنا يسوع .

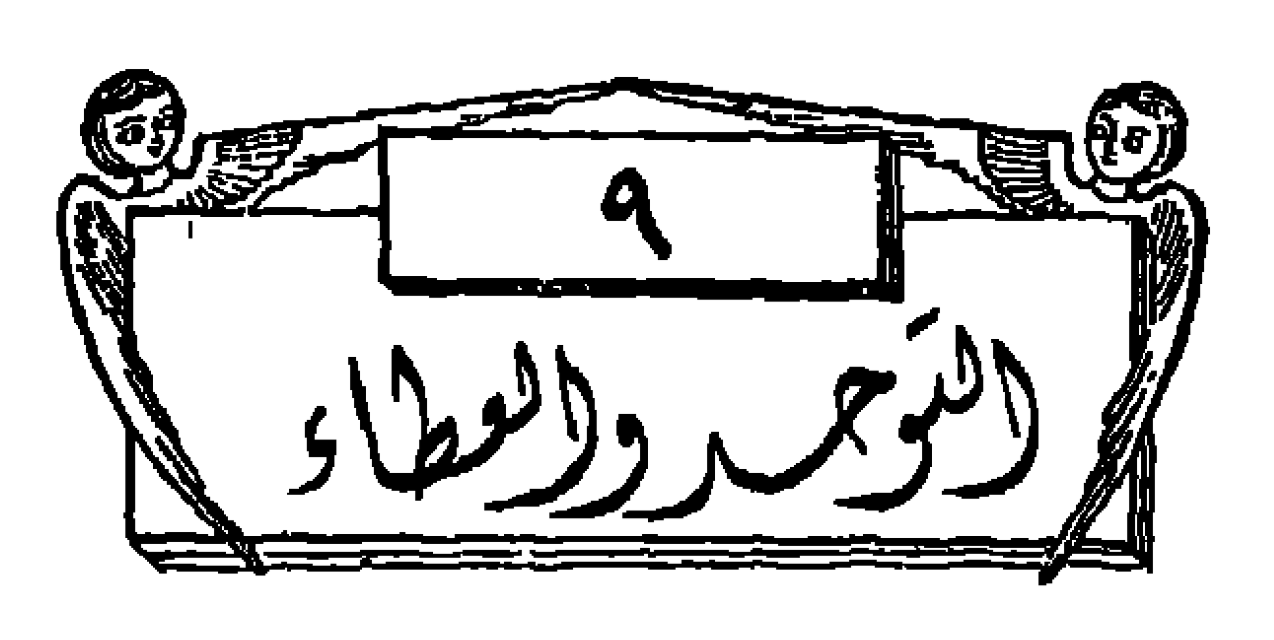
وأيضا من كان من الشعب أو كان خادماً بمدارس التربية الكنسية ، يثير أمامه مشاكل الفصل وأفتقاد الأولاد أثناء العمل أو الدراسة ، لاليخدم أو ليفتقد بل ليشتت فكره .

ليعطينا الرب حكمة وافرازاً لنفهم أفكار الرب ونميزها عن أفكار العدو ، فنقبل الأولى ونطرد الثانية رافعين القلب للرب عندما يثار الفكر أمامنا .

+ إن داخلتك شهوة الأهتمام بغيرك بنوع الفضيلة حتى يشتت مافى قلبك من السكون ، فقل لها : « طريق المحبة جيد والرحمة لأجل الله مقبولة ، ولكننى أنا من أجل الله لاأريدها » .

مار اسحق السريانى

+ + +



العشق الإلهى يدفع الراهب للتوحد ، والحب الإلهى يدفع من كان من الشعب أو الراهب الذى فى شركة إلى العطاء ومحبة الآخرين ، لذلك لايحرم المتوحدون من بركات العطاء ولو لم يقدمونه مادياً .... فقد قدموا القلب بكامله للرب يسوع مستلم العطاء .

فنية العطاء والرحمة موجودة فى قلب المتوحد وإلا فسدت وحدته وسكونه[١٧]

+ قال أحد الشيوخ : « إن كنت من الشعب فتدبر بالسيرة الحسنة التى للشعب . وإن كنت راهباً تدبر بالأعمال الفاضلة التى للمتوحدين . وإن كنت تريد أن تستنير فى التدبيرين – أعنى تدبير الشعب والرهبان – تسقط وتخيب من الإثنين . لأن عمل الرهبان هو هذا : الانعتاق من كل المحسوسات والمداومة مع الله بهذيذ القلب وتعب الجسد بالصلاة . هل يستطاع أن نقرن مع هذا الفضيلة العالمية ؟ ! أو هل يمكن للمتوحد العمال فى سيرة السكون أن يكمل التدبير الداخلى والخارجى أعنى الإهتمام بالله بقلبه والإهتمام من أجل الآخرين ؟ ! » .

+ قال أحد القديسين : « ليس هذا هو غرض سيرتك وقصدها ، أن تشبع الجياع أو أن تكون قلايتك ملجأ للغرباء .... لأن هذه السيرة تليق بالذين يريدون أن يتدبروا فى العالم حسناً . وليست هذه للمتوحدين المنعتقين من جميع التطورات الذين قصدهم حفظ العقل بالصلاة » .

+ تكميل واجبات حب القريب بنياح الأمور الجسدانية هو برّ أهل العالم ، والرهبان الذين هم خارج عمل السكون أو الذين فى المجمع ، المجتمعين بعضهم مع بعض يدخلون ويخرجون كل وقت . وهذا يليق جداً بهؤلاء وليس بالمتوحدين الذين بالحقيقة إختاروا البعد عن العالم بالجسد وبالعقل .

+ تدبير المتوحدين هو شبه الملائكة ، فينبغى ألا نترك عمل السمائيات ونربح البر بأمور ارضية .

+ أن كان بحجة الصدقة يهدس فيك الفكر ، فاعلم أن الصلاة رتبتها أعظم من الصدقة .

+ أنا أسألك ألا تنخدع فان الرحمة مشابهة لتربية الطفل ، أما السكون فهو غاية الكمال .

مار اسحق السريانى

لماذا لايعمل المتوحد بالرحمة ؟

لأن عمل الرهبان هو هذا : الانعتاق من كل المحسوسات والمداومة مع الله بهذيذ القلب وتعب الجسد بالصلاة .

+ لأنه معلوم لكل أحد أن الذى إبتعد عن المحادثات والخلطة بالناس والقرب منهم بالكلية وصار مائتاً عنهم لأجل مفاوضته مع الله وحده ، لايُطلب من مثل هذا أن يخدم الناس .

الراهب الذى ماعليه الرحمة فضيلة ظاهرة هو الذى يمكنه أن يقول للمسيح بوجه مكشوف ، على ماكتب : « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك » .

+ لايعنى بذلك الذى ماله فى الأرض مشيئة ، ولايملك عليها شيئا ، ولايتعب نفسه فى الأمور الجسدانية ، ولايخطر بباله شيء من هذه المرئيات جميعاً ولايهتم بأقتناء شيء ، وإن أعطاه أحد شيئاً لايأخذ منه إلا مايحتاج إليه ولايحفل بما يفضل عنه ، وتكون سيرته كسيرة الطائر ، هذا الذى صفاته هكذا ، ماعليه الرحمة فضيلة ، لأنه كيف يعطى غيره شيئا قد إنعتق هو منه ؟ !

مار اسحق السريانى

وحدة بلا محبة

تعرض مار اسحق السريانى المتوحد لسؤال من الآب سيماون : لماذا يترك المتوحدون الرحمة رغم أمر السيد بها على أنها طريق الكمال . فأجاب بأن للمتوحد

بدون الرحمة لايكون متوحداً . فانعزاله وسكونه لايعنيان قساوة قلبه ، بل بالعكس يعنى قلباً محباً رفيقاً ، لكنه فضل محبة الله فوق كل حب .

فالمتوحد يلزمه أن يقدم الرحمة إن دعت الظروف ، لأن قلبه مملوء حباً ، لكن ليس عمله هو أن يعيش وسط الإخوة ليقدم الرحمة .

+ ناسك غير رحيم كشجرة لاثمر فيها .

+ سؤال : لماذا حّدد سيدنا الرحمة أنها شبه للآب السماوى فى عملها ، بينما يختار المتوحدون السكون أكثر منها ؟

الإجابة : حسن هو قولك . وإجابتك لى هى من الإنجيل ... ونحن لانضاد وصية الرحمة ولانطلب إبطالها . فان الرب حدد الرحمة فى تشبيهنا بالآب ، ومن يتممها يقربهم إليه ، فهذا أمر صريح لاشك فيه . ونحن الر هبان لانلزم السكون بلا رحمة ، لكننا نبتعد عن الإهتمام .... بقدر قوتنا ....

إننا لسنا نريد أن نضاد الأمور الضرورية ، لكننا نتحصل على السكون حتى نصير ملازمين لله .... ونغضب أنفسنا دائما لنصير كاملين فى كل وقت داخل الرحمة لسائر الطبائع الناطقة ، لنرى بهذا أمر تعليم السيد المسيح ، وهذا هو إفراز (تمييز) سكوننا .

فليس السكون أمراً جزافاً ولاكيفما كان ..... فمتى دعى الموقف وإضطررنا للعمل بشىء من الأمور الضرورية ، فما **يليق بأحد أن يتهاون فى إظهار محبته عمليا ظهوراً واضحاً .**

فربما يوجد إنسان قاسياً بعيداً عن محبة البشر ، فمثل هذا يكون سكونه مراءاة . فإن كنا خالين من محبة القريب لايستطيع العقل أن يستند بالمحادثة والحب الإلهى فأى راهب من الرهبان الحكماء ، إذا كان له ملبس أو مأكل وينظر قريبه جائعاً أو عارياً ، ومع ذلك يتحمل .... أو يشاهد أخاه مريضاً وليس له من يفتقده ، ومع ذلك يشتهى السكون ويؤسر قانون التفرد والتوحد والسكون أكثر من نياح (راحة) أخيه وقريبه ؟ !

إذا لم تكن هذه الأمور موجودة ، فلنحفظ محبة القريب ورحمته فى عقلنا (فى الداخل) ، أما إذا وجدت حاجة لنا بالنسبة للآخرين ، فلنفعلها بمحبة للقريب ورحمة به ، لأن الله يطالبنا بتكميل (الحب الداخلى) وتنفيذه عملياً .

إذا لم نكن نملك شيئا من المقتنيات ، فما أمرنا الله أن نلقى أنفسنا فى أهتمامات واغتباطات لأجل المساكين ، بل يطلب منا أن نفعل ذلك قدر مانستطيع وإن كانت سيرتنا توجب علينا الأبتعاد عن الناس وعن نظرهم وسماعهم والاختلاط بهم والجلوس معهم ، فما يليق بنا أن نترك (قلايتنا) وموضع توحدنا وتفردنا ونسلم أنفسنا لنطوف العالم ونتعهد المرضى وننشغل بهذه الأعمال . لأنه ظاهر أن هذه الأمور على أنحطاط وانحدار من الأعلى إلى الدون .

فإن كان الراهب .... يسكن بجوار الناس ويتنيح بتعب اخرين فى زمان محنته ومرضه ، فأنه يجب عليه هو أيضا أن يعمل معهم كما فعلوا معه ... فإذا راعى ابن جنسه وابن شكله ورفيقه فى ضيق ، بل الأولى بنا أن نقول أنه يبصر السيد المسيح طريحاً متعباً فيهرب وينهزم ويختفى مختلياً بالسكون الكاذب ، فمن كان هكذا فهو غير رحيم ....

وإننى أذكر هذا الآب العظيم ، إذ كتب عنه لأجل نزع حجج الذين يتهاونون باخوتهم ، أنه فى بعض الأوقات مضى ليفتقد أخاً مريضاً ، فلما سأله عما يشتهيه ، قال له أشتهى جدياً صغيراً ، فمضى ذلك الأب المستحق الطوبى من الإسقيط إلى الاسكندرية وكان ابن سبعين سنة ليحضر له الجدى ، كما أبدل خبزه الجاف بخبز طازج .

وقد فعل قديس آخر من الآباء وهو الآب أغاثون ، أكثر من هذا ، هذا الأب الذى كان يلزم الصمت والسكون والهدوء كل أيام حياته أكثر من كل أحد . فقد مضىٰ فى إحدى المرات فى الريف ليبيع شغل يديه ، فوجد فى السوق إنساناً غريباً ملقى مريضاً ، فاستأجر له بيتاً وأقام عنده يعمل بيديه وينفق عليه ويدفع له أجرة المسكن ويخدمه ستة أشهر حتى برء . وكان يقول أيضا أنى اشتهى أن أعطى مجزوماً جسدى وآخذ جسده . هذه هى محبة الكاملين .... وإنما قلت هذا ياأخوتى لالكى نهمل ونزدرى بعمل السكون .

الأب مار اسحق السريانى

الملاحظات

1 - En Acts , hom 45 .

2 - Ser . on N . T . Lessons .

3 - En 1 Cor .

٤ – السقولية ، باب ١٥ .

٥ – الدسقولية ، باب ١٤ .

٦ – المرجع السابق باب ، ١٤ .

7 - En Rom , hom 19

8 - Ep 79 : 2 .

9 - Treat . 3 : 2 - 5 .

10 - En Rom , hom 19 .

١١ – دير السريان : الآباء الحاذقون فى العبادة ؟ ج — ١ ، ميمر ١ .

١٢ – بستان الرهبان .

14 - Fragments form the Hypostyposes .

14 - En Rom , 19 .

15 - En Acts , hom 25 .

16 - Treat . 3 : 18 .

17 - Ebid 3 : 16 , 17 , 19 .

١٧ – راجع فى هذا الموضوع مذكرات قداسة الباب شنودة الثالث : فلسفة السكون كما شرحها مار اسحق

المحتويات

الثمن ٨٠ قرشاً